الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جلمعة مصطفى اسطمبولي – معسكر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – قسم العلوم الإنسانية

السند البيداغوجي للسنة الثالثة تاريخ عام

إعداد: د/ بخدة طاهر

المقياس:

تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي في الفترة المعاصر

السنة الجامعية 1438- 1439هـ/ 2017- 2018م

يحتوي هذا السند على إحدى عشر محاضرة مرتبة كما يلي:

المحاضرة الأولى: **نبذة عن تاريخ الفكر الاجتماعي في العصور القديمة**

المحاضرة الثانية: **تاريخ الفكر الاجتماعي في أوروبا خلال القرون الوسطى وفي عصر النهضة**

المحاضرة الثالثة: **فكر ابن خلدون**

المحاضرة الرابعة: **نظرية العقد الاجتماعي**

المحاضرة الخامسة: **الفلسفة الماركسية**

المحاضرة السادسة: **النظريات الاجتماعية المعاصرة**

المحاضرة السابعة: **تاريخ الفكر السياسي**

المحاضرة الثامنة: **نظرية الدولة عند ابن خلدون**

المحاضرة التاسعة: **الثورة الفرنسية 1789م**

المحاضرة العاشرة: **النظريات السياسية المعاصرة**

المحاضرة الحادية عشر: **النظام العالمي الجديد**

المحاضرة 01: **نبذة عن الفكر الاجتماعي والسياسي في العصور القديمة.**

* **مفهوم الفكر الاجتماعي.**

* **مفهوم الفكر السياسي.**

1- الفكر الاجتماعي والسياسي عند قدماء المصريين .

2- الفكر الاجتماعي والسياسي عند الإغريق (اليونان):

أ- مرحلة ما قبل أفلاطون وأرسطو (قبل القرن الرابع ق.م): هزيودوس، سولون، سقراط

* نظرة سقراط للدولة

ب- مرحلة ما بعد القرن الرابع ق.م: قزينوفون، أفلاطون

* نظرية الدولة والسلطة عند أفلاطون

* أرسطو

* نظريته في الدولة

3- الفكر الاجتماعي والسياسي عند الرومان: بوليبيوس، شيشرون، القديس أوغسطين

مفهوم الفكر الاجتماعي: هو مجموع النظريات والآراء والأفكار التي تعطي للمجتمع تصورا وتدرس تطوره عبر التاريخ من حيث طبيعة تكوينه وشكله ونمط معيشته وعلاقاته الاجتماعية (الأفراد، الزواج، الأسرة ...).

مفهوم الفكر السياسي: هو الفكر الذي يدرس النظام السياسي للمجتمعات سواء اتفق معه أو اختلف ويتضمن الأسس النظرية أو المبادىء والأركان التي يقوم عليها أو ينبغي أن يكون عليها، يتجلى الفكر السياسي في شكل نظريات متبلورة قامت على النظر والدراسة والتحليل أو يكون موقفا عمليا أو نشاطا ثقافيا وفنيا (عرض مسرحي، قصيدة شعرية، خطبة، مقولة، رسم ...) أو أي صورة من صور التعبير.

1- الفكر الاجتماعي والسياسي عند قدماء المصريين: قام على أساسين طبيعي وديني، فاختراق نهر النيل لمصر ألهم المصريين فكرة الوحدة، حيث تمكن الملك مينا من تحقيق ذلك بحكمه لشطري مصر، أما سياسيا فقد اعتبر الفرعون نصف إله لأنه من سلالة الآلهة التي كانت تحكم مصر(الآلهة التسعة أو التاسوع) قبل أن تعرج إلى السماء[1]، ولذلك انتسب الملوك إلى الآلهة مثل الإله رع.

إرتبط الفكر الاجتماعي والسياسي عند معظم الشعوب القديمة ومنها المصريين في مراحل التاريخ الأولى باللاهوت، فكل ما في العالم ملكا للآلهة (المرحلة الإلهية) ثم تطور إلى البطولية حيث ملئ الحكام أنصاف آلهة[2]. أما اجتماعيا، فقد اهتم المصريون بالأسرة والأخلاق والفضائل كالتواضع والعفة والتكافل، قال الحكيم خيتي وهو يوصي إبنه: " لتكن لك زوجة وأنت شاب حتى ترزق إبنا وأنت صغير فتراه رجلا حين يكبر " وفي الأخلاق يقول له: " لا تتناول طعاما وأنت ترى غيرك يقاسي من الجوع فلا تمد له يدك بالطعام "[3].

2- عند الإغريق (اليونان): يعتبر اليونانيون من أكثر الشعوب اهتماما بالجانب السياسي والاجتماعي ولذلك برز كثير من الفلاسفة والحكماء الذين تناولوا القضايا السياسية والاجتماعية كالأخلاق وقضايا الأسرة والتربية والملكية لاسيما وأن المجتمع اليوناني قام على أساس طبقي محدد المهام السياسية والمدنية والعسكرية، ويلاحظ أن الفكر السياسي الإغريقي إرتبط بالحاضرة (la cite') التي تعد محور

1- محمود سعيد عمران وآخرون: النظم السياسية عبر العصور، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999م، ص27/ محمد العربي: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م، ج2، ص136، 147.

2 - عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997م، ص96.

3- محمد العربي: المرجع نفسه، صص167- 168، 175/ محمود سعيد عمران: المرجع نفسه، ص52.

التفكير ومحور النشاط السياسي والاجتماعي. ففي الجانب السياسي إعتبر أرسطو (384- 322ق.م) أن البعض خلق ليقود والآخرون خلقوا ليطيعوا[1]، ولذلك جعل كلا من الطبقة الحربية والقائمين بشؤون المداولات (الجمعية العمومية) وحدهما اللتان تؤلفان الدولة سياسيا[2]، أما اجتماعيا فأباح الرق ونفى عنهم صفة المواطنة لأنهم لا يتمتعون بالحقوق السياسية، وحرص على أهمية الأسرة فاقترح سن الزواج بـ 18 سنة للنساء وسن 37 أو أقل للرجال، وأن يقيم الأطفال في أسرهم إلى سن السابعة أين تتكفل الدولة بتربيتهم وتنشئتهم[3].

قسم أفلاطون (429-347ق.م) المجتمع اليوناني إلى ثلاث طبقات رئيسة: الطبقة الحاكمة ومثل العقل وسماها الطبقة الذهبية، الطبقة التي تحمي المجتمع وهي الجيش (الطبقة الفضية)، الطبقة التي تقدم الإنتاج من زراع وصناع وتجار (الطبقة النحاسية) على أن تكون هذه الطبقات مرتبطة إرتباط الأعضاء بالجسم لتحقيق الكمال ومصالح الدولة وتوازنها[4]، ورأى أن الأسرة خطرا على وحدة الدولة لأن رب الأسرة يفضل مصلحة أسرته على مصلحة الدولة ولذلك ألغى الرابطة الزوجية ونادى بحرية العلاقة بشرط تنظيمها من قبل الدولة (القضاة) واعتبر أن وظيفة المرأة هو إنجاب أطفال صالحين للدولة فقال:" ما يلدن من أطفال للدولة وليس لهن " ودعا الحكام- الدولة- إلى التحكم في نمو السكان وضبط عدده[5].

1- اعتبر أرسطو أن الطبيعة هي التي خلقت بعض الكائنات للإمرة، وبعضها للطاعة، فالكائن الموصوف بالعقل والتبصر يأمر بوصفه سيدا، والكائن الكفؤ بخصائصه الجسمانية لتنفيذ الأوامر، يطيع بوصفه عبدا. أرسطوطاليس: السياسة، ترجمه عن الإغريقية وقدمه بارتملي سانتهيلير، ترجمة أحمد لطفي السيد، منتدى سور الأزبكية. www.books4all.net. ص94، 101، 103/ أفلاطون: القوانين، ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية د. تيلور، نقله إلى العربية محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ص184- 185/ جون توشار وآخرون: تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1403هـ- 1983م، ص13/ محمود سعيد عمران: المرجع نفسه، ص69.

2- أرسطوطاليس: المصدر نفسه، ص261.

3- نفسه، ص287، 293/ أفلاطون: المحاورات الكاملة – الجمهورية – نقلها إلى العربية شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994م، مج1، ص186- 187، 240/ أفلاطون: القوانين، ص123، 134.

4- أفلاطون: المصدر نفسه، مج1، ص254، 367/ جان توشار: المرجع نفسه، ص33/ BARKER, M.A: the political thought of plato and aristotle, LONDON, 1906, p45.

5- أفلاطون: الجمهورية، ص239، 241/ أفلاطون: القوانين، ص231- 232/ إبن العبري: تاريخ مختصر الدول، صححه ووضع فهارسه الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، الحازمية، ط2، 1994م- 1415هـ، ص90/ جون توشار: المرجع نفسه، ص34/ محمود سعيد عمران وآخرون: المرجع السابق، ص119. عدل أفلاطون عن كثير من أفكاره بخصوص الأسرة والملكية الخاصة في كتابه القوانين أين أقر حق التملك (الملكية الفردية) وارتضى الزواج أساسا اجتماعيا فحدده بين 30- 35 سنة، لأنه أدرك أن الحياة الإنسانية لا يمكن أن تقبل إلا بما هو متفق مع الإدراك السليم والطبيعي للأمور، ومنها إستمرار النوع الابشري التي يسميه بالخلود.

تميز اليونانيون عن غيرهم من الأمم بغزارة مؤلفاتهم في الفكر السياسي بسبب الظروف والأحداث السياسية والاقتصادية التي مروا بها كالحروب الداخلية والخارجية، عدم الاستقرار الاقتصادي ويمكن تحديد مرحلتين لتطوره:

أ- مرحلة ما قبل أفلاطون وأرسطو (قبل القرن 4 ق.م): كان الفكر السياسي يدور داخل التكوين الهيكلي العام للدولة ومحاولة تحديد الوسائل التي يمكن أن تطبق من خلالها، فقد كان المجتمع اليوناني عبارة عن تجمعات سكانية وقبلية آخذا طريقه إلى ظهور المدن الباحثة عن كيان سياسي مستقر، ومن أشهر مفكري هذه المرحلة:

هزيودوس HESEODOS (القرن 8ق.م): شاعر من مؤلفاته الأشغال والأيام، أنساب الآلهة، نادى هزيودوس بالعمل والعدالة لتحقيق مجتمع فاضل وذلك في ظل سيطرة الحكومات الأرستقراطية وظهور مدن الدولة وقيام صراع بين الأرستقراطية والطبقة العامة.

سولون SOLON (640- 550ق.م): بدأ المفكرون يتوجهون في هذه المرحلة نحو تحديد نوعية القيم التي ستكون كمقومات للدولة وذلك في ظل المتغيرات السياسية والاجتماعية والمتمثلة في التوسع وبروز الطبقة البورجوازية إلى جانب الأرستقراطية والطبقة العامة. حاول سولون إيجاد توازن بين هذه الطبقات فأصدر تشريعات أو إصلاحات سنة 594 ق.م عرفت بتشريعات سولون سعى من خلالها إلى التوفيق بين الطبقة الأرستقراطية والطبقة البورجوازية التي قسمها إلى ثلاث فئات على أساس مادي، أي الدخل في مقابل وصولها إلى السلطة: (من دخله 500 معيار/ من يتراوح دخله بين 300- 500 معيار/ من لا يقل دخله عن 200 معيار)، سعى إلى إصلاح وضع الطبقة العامة من خلال الحد من حكم الأوليغارشية وإرساء الديمقراطية[1].

سقراط[2] (470- 400ق.م): وهو أحد الحكماء من مدينة أثينا، اهتم بالأخلاق والإلهيات، نادى بوجوب إحترام القوانين الإلهية والوضعية واعتبر العدالة مقياس الفضيلة[3]، إنتقد الديانة الوثنية ونفى عن

1- أرسطوطاليس: السياسة، ص177.

2- الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1423هـ- 2003م، ج2، ص80/ ابن العبري: المصدر السابق، ص89/ محمود سعيد عمران وآخرون: المرجع السابق، ص104.

3- قال سقراط:" إن رجل الفضيلة لا يجب أن يحسب حساب الحياة أو الموت، إنما المعيار الوحيد لسلوكه هو العدل وتجنب الظلم ". أفلاطون: محاكمة سقراط (محاورات أوطيفرون، الدفاع، أقريطون) ترجمة وتقديم عزت قرني، دار قباء، القاهرة، ط2، 2001م، ص119.

الآلهة صفات البشرية[1]، نادى بالعودة إلى العقل في أمور الدين وليس إلى النقل والتقليد. قال باشتراكية النساء والأولاد بالنسبة لطبقة الحماة، فهي ينبوع النفع الأعظم للدولة حيث تختفي من بينهم كل الدعاوى والشكايات، ويتخلصون من تلك النزاعات التي تسببها الأموال والأولاد.

نظرة سقراط للدولة: تصور أن الدولة تنبثق من حاجة الجنس البشري، فلا أحد يمكنه البقاء بنفسه، وبذلك فالدولة هي جسم مأهول يؤدي فيها كل فرد عملا واحدا يلائم طبيعته، واعتبر الوحدة والمواطنة الحقة كأهم أسس الدولة، فقال عن الأولى:" وتوجد الوحدة حيث يوجد مجتمع المسرات والآلام، حيث كل المواطنين مسرورون أو محزونون بالدرجة عينها على المناسبات عينها للفرح والحزن " ويقول عن الثانية:" أوليست الدولة الأفضل تنظيما هي التي يكون فيها العدد الاكبر من الأشخاص مطبقين عمليا العبارتين خاصتي، وليست خاصتي للشيء عينه؟ "[2].

قسم سقراط الدولة إلى نوعين: منظمة، وفوضوية، فالدولة المنظمة أو الكاملة تتميز بالعقل والشجاعة والإعتدال والعدالة وعقل[3] . فضل حكم الأرستقراطية لأن هذه الطبقة في نظره قادرة على تسيير شؤون الدولة لما تتميز به من علم وحكمة وعقل، وانتقد النظام الديمقراطي وقال أن السلطة لا تكون شرعية إلا إذا كانت لصالح المحكومين، اتبع في تفكيره أسلوب الجدل والحوار الهادئ، اتهم بالإلحاد (عدم الإعتراف بآلهة الدولة) وحكم عليه بالسجن سنة 399ق.م حيث ظل وفيا لمبادئه إلى أن مات مسموما رغم إلحاح بعض أصدقائه عليه بتسهيل هربه.

ب- ما بعد القرن 4 ق.م: عمل مفكرو هذه الفترة على تكوين صورة مثالية لمفهوم الدولة والمجتمع وأسس قيامها والتي يمكن تطبيقها فعلا، ومن أشهر الفلاسفة الذين تبلور معهم الفكر السياسي:

* **كزينوفون[4] XENOPHON (429- 354 ق.م):** إنتقد الديمقراطية لأنها تتسم بالفوضى وتعتمد على الخطب الرنانة، وفضل حكم الأقلية الأرستقراطية الصالحة ورفض استخدام الحاكم للقوة والإرهاب

1- من المعتقدات الدينية السائدة آنذاك أن الإله كرونوس لما تنبأ بأن أحد أبنائه سيعزله عن العرش، فكان يبتلع كل أبنائه، فلما ولد له زيوس أرسلته أمه إلى جزيرة كريت، ووضعت بدله حجرا في القماط، فابتلعه كرونوس ظانا أنه ولده، فلما كبر زيوس قيد أباه وسجنه.

2- أفلاطون: الجمهورية، ص102، 243/ أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، دط، ص53.

3- أفلاطون: المصدر نفسه، ص191.

4- كزينوفون الأثيني (430- 354 ق.م): من عائلة أرستقراطية، وهو فيلسوف وشاعر وناقد اجتماعي وديني، تتلمذ على سقراط وتأثر بأفكاره. جان توشار: المرجع السابق، ص27/ محمود سعيد عمران وآخرون: المرجع السابق، ص108.

ضد المواطنين وقال: " إنماء يقاد الرجال ولا يساقون ". إنتقد النظام التعليمي في بلده ودعا إلى تكفل الدولة بتعليم مواطنيها، وقال:" الفارسي يذهب إلى المدرسة ليتعلم العدالة والنظام، بينما نذهب نحن لنتعلم القراءة والكتابة والحساب"[1]. ثار على المعتقدات اللاهوتية السائدة فرفض تعدد الآلهة وأنسنتها وتجسيمها وانتقد أشعار هوميروس الأسطورية وكتابات هزيود اللذان ساهما في ترسيخ تلك المعتقدات.

* **أفلاطون[2] PLATON (429- 347ق.م):** تلميذ سقراط، ومؤسس أكاديموس (أكاديمية) أثينا، كان من أكثر الفلاسفة اهتماما بالحكم وبالقضايا الاجتماعية ، تميز فكره في المرحلة الأولى بالتصور والخيال وذلك في كتابه الجمهورية الذي عرض فيه آراءه عن المدينة المثالية، كما تناول نشأة الدولة ونظام الحكم وطبقات الشعب والتعليم وقضايا الأسرة (الزواج، التربية، إحترام الوالدين) والرق. قسم الناس إلى ثلاثة: محبي الحكمة، محبي الشرف، محبي الربح.

بعد ثلاثين سنة ألف كتاب القوانين NOMOI الذي تراجع فيه عن بعض أفكاره وآرائه فنادى بنظام واقعي للحكم يمكن تطبيقه بدلا من النظام المثالي الخيالي، كما أباح الملكية الفردية المعقولة ونادى بسيادة القانون ووجوب إحترامه من قبل الحكام والمحكومين وبالدولة الفضلى بدل الدولة المثالية، فعلى المشرع أن يضع نصب عينيه فضيلة الحكم والاعتقاد الصحيح، ويسن قوانين يتقبلها العامة تلقائيا، وينبغي ألا يؤتمن على وظائف الدولة الحمقى، بل ذوي الحكمة والعقل[3].

نظرية الدولة والسلطة عند أفلاطون: يرى أن أساس الدولة هو تبادل المصالح بين أفراد الجماعة التي يكون فيها تقسيم العمل، فالحاكم (الفيلسوف) يجب أن تكون له بناء على المعرفة سلطة نافذة في الجماعة، وقال أن للدولة ثلاث وظائف: إدارة شؤون الحكم- توفير سبل المعيشة لإشباع الحاجات الطبيعية- حماية أمن الدولة.

يرى أفلاطون أن الحكومات أربع: - الحكومة الديمقراطية: وهي أكثر عدلا، - الحكومة الإستبدادية: أي حكم الفرد، وهي أكثر ظلما وشقاء وفوضوية، - الملكية الدستورية: وهي نوع من الديمقراطية- الحكومة

1- BARKER, M.A: op cit, p55

2- عن أفلاطون وفلسفته ينظر، الشهرستاني: المصدر السابق، ج2، ص84/ ابن العبري: المصدر السابق، ص89/ القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح محمد الأمين الخانجي، القاهرة، 1366هـ، ص13/ جان توشار: المرجع السابق، ص34/ ف. دياكوف: تاريخ الحضارات العام، ج2، ص377/ أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، مكتبة الاسرة، القاهرة، 1994م، ص30/ BARKER, M.A: op cit, p61

3- أفلاطون: القوانين، ص175 وما بعدها.

الأوليغاركية أو حكومة الأقلية التي تملك المال[1] (الطبقة الغنية) ، ولذلك اعتبر أن هذه الحكومة تهان فيها الفضيلة والفضلاء. وأفضل نظام حكم بالنسبة إليه هو الذي يقوم على أساس التوازن بين مختلف المبادىء والجمع بين النظام الملكي والنظام الديمقراطي[2] ، ويظهر أن ديمقراطية الدولة عنده اجتماعي أكثر منه سياسي، وهي تقسيم العمل وحاجة الناس إلى بعضهم البعض.

أرسطو[3] ARISTOTE **(384- 322ق.م):** وهو تلميذ أفلاطون لازمه مدة عشرين سنة، وإذا كان أفلاطون قد اعتمد على العقل فإن أرسطو اعتمد على العقل وعلى أحداث التاريخ فأقام نظريته على استقراء الظواهر الاجتماعية ومشاهدة الحوادث ولذلك توصف فلسفته بأنها عملية واقعية، ومن أهم مؤلفاته في الحكم: الدساتير- السياسة اللذان تبنى فيهما الملاحظة والمقارنة والمنهج التاريخي كوسائل للبحث، تشبه آراء أرسطو كثيرا آراء من سبقه ولاسيما سقراط وأفلاطون، فالجمهورية الفاضلة عنده هي التي تكفل للمواطنين الذين ترعاهم الاستمتاع بأكمل ما يكون من السعادة التي تناسب مركزهم[4].

إعتبر العدل والفضيلة ضرورتان اجتماعيتان متلقتان عن الطبع، وهما بمثابة سلاح ينبغي أن يستعملهما الإنسان ضد شهواته الخبيثة، وعد الاعتداء المسلح كأشنع أنواع الظلم[5]، الأمر الذي جعل ابن خلدون يعتبره مفسدة للعمران.

نظريته في الدولة: يرى أن الإنسان سياسي بطبعه، فقال:" كل دولة هي بالبديهة اجتماع " ثم يدلل على ذلك بقوله:" الدولة من عمل الطبع وأن الإنسان بالطبع كائن اجتماعي "[6]، وعليه فإن المواطن هو الفرد الذي يمكن أن يكون له في الجمعية العمومية وفي المحكمة صوت في المداولة أيا كان شكل الدولة التي هو عضو فيها، وبذلك تتجسد الديمقراطية والمشاركة في السلطة[7]، فمن حق الشعب

1- أفلاطون: القوانين، ص217/ أفلاطون: الجمهورية، ص364.

2- لفهم فكر وفلسفة أفلاطون يجب الجمع بين كتبه الثلاث: الجمهورية، السياسي، القوانين. الشهرستاني: المصدر السابق، ج2، ص84.

3- عن أرسطو وفلسفته ينظر، ابن العبري: المصدر السابق، ص91/ إبن صاعد: طبقات الأمم، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، دط، ص34/ القفطي: المصدر السابق، ص21/ جان توشار: المرجع السابق، ص37/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص126 وما بعدها/ ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2000م، ج2، ص379/ BARKER, M.A: op cit, p22

4- أرسطوطاليس: السياسة، ص236.

5- نفسه، ص97.

6 - نفسه، ص96.

7 - نفسه، ص183- 184، 192.

المساهمة في وضع القانون والدستور وإنشاء المجالس، وأكد مبدأ سيادة القانون الذي اعتبره العقل مجردا من الهوى.

أما بالنسبة لنظام الحكم فاعتمد في تقسيمه على معيارين، كمي (عددي) وكيفي (موضوعي) أي من حيث صلاحه أو فساده وذلك بعد أن درس 158 دستورا لمدن ومفكرين، وعليه قسم الحكم إلى:

1- حكومة الفرد أي النظام الملكي (الأوتوقراطي): ويقابله الحكم الإستبدادي الذي لا يتقيد فيه بالقانون ويعمل فيه الحاكم لمنفعته الشخصية.

2- حكومة الأقلية (الأرستقراطي): يقابله حكم الأوليجاركية وهي أقلية غنية تعمل فيه لمصلحتها أيضا.

3- حكومة الأغلبية (الجمهوري): يقابله حكم الغوغاء الذي تعمل فيه الأغلبية الفقيرة ضد الأغنياء.

يرى أرسطو أن أفضل نظام للحكم هو الذي يكون وسط بين الجمهوري والأوليجاركي أي الجمع بين المتناقضين، كما نادى بالفصل بين السلطات على أن تتعاون فيما بينها وتراقب بعضها البعض لتفادي الإستبداد وتحقيق الإستقرار[1].

3- الفكر الاجتماعي والسياسي عند الرومان: الحقيقة أن الرومان لم يكن لهم فكر سياسي أصيل وإنما اعتمدوا على من قبلهم ولاسيما اليونانيين، وتميز تفكيرهم بأنه عملي أكثر منه فلسفي لغلبة نزعة الواقعية على النزعة التأملية وذلك في ظل إتساع الإمبراطورية الرومانية التي اهتمت بالجيش والقوة أكثر من اهتمامها بالمسائل الفكرية، ومن أشهر مفكري الرومان، نذكر:

بوليبيوس POLYBIUS (204- 125ق.م): لم يكن فيلسوفا وإنما مؤرخا ورجل حرب، له كتاب التواريخ أو تاريخ العالم تضمن الفترة بين 218- 146 ق.م، كان واقعيا على أثر أرسطو، تأثر بدستور روما، وأصلح نظام بالنسبة إليه هو ذلك الذي يجمع بين الأنظمة الثلاث المعروفة، فالقناصل يمثلون الملكية ومجلس الشيوخ يمثل الأرستقراطية، والمجالس الشعبية تمثل الديمقراطية، وهو صاحب فكرة الدورة السياسية، فبعد زوال أي حضارة (دولة) بسبب كوارث (طوفان- أبئة- مجاعات ...) تبدأ من جديد بملكية التي تصبح إستبدادية ثم تزول بفضل ثورة الفضلاء الذين يؤسسون حكما أرستقراطيا

1- أرسطوطاليس: السياسة، ص199 وما بعدها. يعترف أرسطو بأن تعاريفه لأنواع الحكم غير مضبوطة، لأنه قد تكون الأغلبية في الحكومة الجمهورية من الأغنياء، وعليه ينبغي أن تسمى أوليغارشية، وفي كل مكان حيث تكون للفقراء فتلك هي الديماغوجية.

ثم تتحول إلى أوليغارشية التي يثور ضدها الشعب مؤسسا الديمقراطية ثم تحدث صراعات داخلية تؤدي من جديد إلى قيام الملكية[1].

شيشرون CICERON (106- 43 ق.م): وهو من أشهر خطباء الرومان (وصلنا منها 57 خطبة)، لم يكن مجددا في الفكر بل ناقلا ومتأثرا بمن سبقوه من اليونان كأفلاطون وأرسطو، والرومان، أما بالنسبة للحكم فيرى أنه عملا أخلاقيا يقوم على المعرفة والفضيلة بتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، واعتبر القانون العادل أساس الحق، وحذى حذو بوليبيوس في إعجابه بالحكم المختلط أي الذي يجمع بين أنظمة الحكم الثلاث وبفصل السلطات[2].

القديس أوغسطين[3] (354- 430م): امتزج فكره السياسي بالدين، فكان يرى بأن كل سلطة على الأرض قائمة بأمر الله وبتفويض منه، حدد اختصاصي سلطة الكنيسة والسلطات المدنية على ألا تتعدى إحداهما على الأخرى وفق قاعدة " اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله "[4]. ويمثل كتابه مدينة الله الذي بدأ تأليفه في 413م ويقع في 22 كراسة فلسفة للتاريخ المسيحي، هاجم في الكراسات العشر الأولى الوثنية والمتطلعين إليها ولاسيما عزوهم سقوط مدينة روما إلى تحول سكانها عن الوثنية إلى المسيحية[5]، وناقش علاقة الإنسان بالله، أما الكراسات المتبقية فيتكلم عن المدينتين مدينة روما ومدينة الله.

1- جان توشار: المرجع السابق، ص59/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص147 وما بعدها.

2- جان توشار: المرجع نفسه، ص67/ ف. دياكوف: الحضارات القديمة، ج2، ص252/ محمود سعيد عمران: المرجع نفسه، ص150.

3- ولد بمدينة تاجاست من أم كاثوليكية وأب وثني، تلقى علومه الأولى بمداوروش وقرطاجة، إنتقل إلى إيطاليا فاطلع على أفكار شيشرون والأفلوطينية الجديدة، كان يعتقد المانوية الثنوية ثم تحول عنها إلى المسيحية على يد القديس أمبروز في مدينة ميلان سنة 386م، عاد إلى إفريقيا بعد وفاة والدته سنة 388م وأصبح قديسا لمدينة هيبون سنة 391م حتى وفاته، من مؤلفاته: إعترافات. أوروسيوس: تاريخ العالم، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، ص457/ نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط- قصة حضارة: البداية والنهاية، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط5، 1997م، ق1، صص102- 110/ برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، ج2، صص66- 75/ عبد القادر بوعرفة الهلالي: أعلام الفكر والتصوف بالجزائر ما قبل الميلاد إلى القرن 16م، دار الغرب، دط، ج1، ص19.

4- المقولة لعيسى عليه السلام لأحد الكهنة حول إعطاء الجزية للقياصرة . إنجيل برنابا، دراسة مقارنة، منذر الحايك، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق، ط1، 2016م، الفصل 31، الفقرة 5، ص77 . إنجيل مق، 22: 17- 21 ومرقس، 12: 13- 17.

5- ود أوغسطين على أولئك:" إفتحوا تواريخ عدة حروب حدثت قبل تأسيس روما أو بعد ولادتها وتوطيد إمبراطوريتها، طالعوها إقرأوها وقد موا لنا غرباء أعداء سيطروا على مدينة وحافظوا على اللاجئين إلى هياكل آلهتهم، اعطونا رئيس برابرة يعفو بعد سقوط المدينة بيده ". وقال إن أولياء الله عندما يفقدون المتاع الدنيوي لا يفقدون شيئا ذا قيمة. مدينة الله، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2، 2006م، مج1، ك1، ص3/ برتراند راسل: المرجع السابق، ج2، ص83/ علي زيغور: أوغسطينوس، دار إقرأ، بيروت، ط2، 1403هـ- 1983م، ص224.

الحقيقة أن القديس أوغسطين لم يكن مفكرا سياسيا أو فيلسوفا بقدر ما كان رجل دين ومصلح اجتماعي، ورغم ذلك فقد مثلت آراؤه فلسفة للتاريخ ومصدرا لكثير من الأفكار السياسية والاجتماعية حتى عصر النهضة، وقد أخذ بها الباباوات لاحقا عندما وقع الصدام بين الإمبراطورية والكنيسة في أوروبا وذلك انطلاقا من فكرة المدينتين: فمدينة الله مقدسة أبدية إشارة إلى الفضيلة، والمدينة الأرضية مدينة البشر [1] اللتان يجب أن تعيشا جنبا إلى جنب، لكن مدينة الأرض تزول، ومدينة الله خالدة خلود القديسين.

استند أوغسطين في التفويض الإلهي للسلطة إلى القديس بولس في وجوب طاعة الحكام وعدم الثورة ضدهم، لكن على هؤلاء أن يقيموا العدالة[2] ، ولم يفضل شكلا معينا من الدولة أو يحدد من يتولى السلطة وطريقة ذلك (الحظ، الوراثة، الإنتخاب) فهذه أمور تفصيلية والمهم في السلطة هو الجوهر أي جوهر السلطة[3].

يمكن القول أن الفكر السياسي والاجتماعي للعصور القديمة كان نتاج وامتزاج بين آراء ونظريات فلسفية ودينية صاغها مفكرون وفلاسفة وحكماء معظمهم من اليونان إنطلاقا من واقع سياسي واجتماعي محاولين تفسير الطبيعة وما وراءها ودور الإنسان فيها وعلاقته بها، ولذلك تعد الفلسفة اليونانية القديمة قاعدة التفكير الفلسفي لما سيأتي من الحضارات سواء بالنسبة للرومان أو بالنسبة للحضارة الإسلامية في المشرق والأندلس، ثم لاحقا الفلسفة الأوروبية عصر النهضة، فهي حلقات متصلة يكمل بعضها بعضا، وتمثل كل واحدة منها مرحلة من مراحل التطور الحضاري للإنسان.

---

1 - أوغسطينس: المصدر نفسه، مج3، ك18، ص1.

2- جاء في رسالة القديس بولس الأولى إلى تيموثاوس (العهد الجديد):" فأطلب قبل كل شيء أن تقيموا الدعاء والصلاة والإبتهال والحمد من أجل جميع الناس، ومن أجل الملوك وأصحاب السلطة حتى نحيا حياة مطمئنة هادئة بكل تقوى وكرامة " 2: 1- 2/ أوغسطينوس: مدينة الله، ك1، ص21/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص178.

3- علي زيغور: المرجع السابق، ص228.

المحاضرة 02: تاريخ الفكر الاجتماعي في أوروبا خلال القرون الوسطى وفي عصر النهضة

*** تمهيد**

1- الفكر الاجتماعي في القرون الوسطى

أ- المسيحية

ب- النظام الإقطاعي

ج- الحروب الإقطاعية والدينية

2- الفكر الاجتماعي في عصر النهضة

المحاضرة 02: **تاريخ الفكر الاجتماعي**

الفكر الاجتماعي في أوروبا خلال القرون الوسطى وفي عصر النهضة.

تمهيد: استمدت أوروبا أغلب فكرها الاجتماعي من الثقافة الكلاسيكية أي الحضارتين اليونانية والرومانية المتراكمة عبر ما يقارب عشرة قرون بحيث استمرت كثير من التنظيمات والنظريات التي مزجت بين الفكر الديني (المسيحية) والفلسفي.

1- الفكر الاجتماعي في القرون الوسطى: أي الفترة الممتدة من القرن الرابع الميلادي إلى نهاية القرن الرابع عشر. ارتبط الفكر الاجتماعي في أوروبا خلال هذه الفترة بانتشار المسيحية والأوضاع السياسية والاقتصادية والحروب، سواء الحروب الإقطاعية أو الصليبية. هذه العناصر الثلاث ستكون منطلق التفكير الاجتماعي.

أ- المسيحية: مع انتشار المسيحية في القرن الرابع الميلادي اصطبغ المجتمع الأوروبي بالصبغة المسيحية في تفكيره وحياته الاجتماعية لاسيما في ظل تسلط الكنيسة وتدخلها في الشؤون العامة والخاصة للفرد[1]، فقد فرضت الكنيسة مثلا تعاليم للنظام والعلاقات الاجتماعية. ففي مجال الأسرة اعتبرت الزواج رابطة مقدسة، ولذلك كان يتم في الكنيسة وبمباركة رجال الدين، وحرم الطلاق إلا في حالتي الخيانة أو العصيان غير المحتمل[2]، ومنع تعدد الزوجات[3]، وطالبت المسيحية المرأة باحترام الزوج وطاعته كما على الرجل أن يحب زوجته، فقد جاء على لسان القديس بولس:" أيتها النساء إخضعن لأزواجكن كما تخضعن للرب ... أيها الرجال أحبوا نساءكم ... ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتحد بامرأته فيصير الإثنان جسدا واحدا "[4] كما أوجب على الأبناء طاعة والديهم. هذا بالنسبة للعامة، أما بالنسبة لرجال الدين كالقساوسة والشمامسة فقد منعوا من الزواج، حتى يتميزوا عن بقية الناس وينالوا إعجابهم كدليل على الرهبنة والتدين، وحتى لا يورثوا أبناءهم أملاك الكنيسة[5].

1- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2015م، ص22.

2- برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، ص49.

3- مونتيسكيو: روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، دار المعارف، القاهرة، 1954م، ج2، ص179.

4- العهد الجديد: رسالة بولس إلى كنيسة أفسس، 5: 12- 32.

5- برتراند راسل: المرجع نفسه، ج2، ص167.

إعترفت المسيحية ورجال الدين كأوغسطين وغيره بالعبودية كنظم اجتماعي لأنها تمثل في نظرهم إرادة الله وكنتيجة لخطيئة آدم التي انتقلت إلينا (إعترض البعض على هذا)، قال القديس بولس:" أيها العبيد أطيعوا أسيادكم في هذه الحياة الدنيا بخوف ورهبة وقلب تقي كما تطيعون المسيح "[1]، لأنه حتى لو كان هذا الشخص عبدا لسيده، فإنه حرٌ في مملكة الله، وذلك تبريرا للقدر الذي يقول به أوغسطين، وحتى لا يشعر العبد بالمهانة في الدنيا، ويدخر ذلك للآخرة.

ب- النظام الإقطاعي (feodalisme): يعد النظام الإقطاعي الميزة الاساسية للحياة الاجتماعية في أوروبا خلال القرون الوسطى لأنه جسد الفلسفة الكاثوليكية التي أضفت طابع القداسة على العلاقات الاجتماعية الاستغلالية[2] ومنها نظام العبودية الذي حاول الإقطاعيون جعله أمرا مفروضا، وقد أرجع البعض بذوره إلى علاقة التبعية أو الحماية عندما التفت القبائل حول زعيم يقودها ويحميها زمن سيطرة الجرمان على أوروبا[3].

قسم النظام الإقطاعي المجتمع الأوروبي إلى طبقتين رئيستين هما: الطبقة الأولى، وتتكون من الأباطرة والملوك والأشراف (النبلاء) ورجال الدين والإقطاعيين الذين مثلوا الطبقة الأرستقراطية من الناحية الاجتماعية، والفئة الغنية من الناحية الاقتصادية بما يملكون من أراض وخدم، والحاكمة من الناحية السياسية[4] والتي كانت تنظر إلى نفسها بنوع من القداسة والتبجيل، أما الطبقة الثانية فيمثلها الفلاحون والأقنان وعبيد الأرض، وبما أن النظام الإقطاعي هو نظام زراعي ريفي أساسا يقوم على ملكية الأرض وخدمتها، كان فيها الأقنان على درجة من الاغتراب[5]، وعاش عموما أفراد هذه الطبقة حالة من الجهل والبؤس بسبب استغلالهم من قبل الطبقة الأولى الذين أوجدوا لأنفسهم مجموعة من

1- رسالة إلى كنيسة أفسس، 6: 5- 8، رسالة إلى تيموثاوس، 1: 6/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص178/ برتراند راسل: المرجع السابق، ص95.

2- موريس كونفورث: مدخل إلى المادية الجدلية – المادية والمنهج الجدلي- ترجمة محمد مستجير مصطفى، دار الفرابي، بيروت، ط5، 2015م، ص50.

3- جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2015م، ص87.

4- نعيم فرح: الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ط2، 1421هـ- 2000م، ص52. لم تكن لأوروبا في ظل النظام الإقطاعي دولا أو حكومات بمعنى الكلمة، وإنما إمارات إقطاعية بزعامة الدوق أو الكونت أو اللورد، تفتقد إلى القوانين والنظام، دائمة الحروب فيما بينها.

5- نأطوني جدنز: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تحليل كتابات ماركس ودوركهايم وماكس فيبر، ترجمة أديب يوسف شيش، مطبوعات جامعة كمبرج، دط، ص39. والإغتراب alienation مصطلح حديث أطلقه كارل ماركس على الحالة النفسية التي بلغها الفرد العامل نتيجة الاستغلال من قبل الرأسمالية الصناعية، والذي جرده من إنسانيته وأصبح غريبا وبعيدا عن النواحي الاجتماعية في واقعه.

النظم والتقاليد الاجتماعية التي كرست الطبقية والتبعية والجهل بسبب حصرها للتعليم في جانب اللاهوت فقط.

فرض الإقطاعيون والأمراء على أتباعهم مجموعة من الأعمال والواجبات كالسخرة بهدف ضمان ولائهم وبقائهم تحت السيطرة والحصول على مكاسب مادية، منها أنواعا من الضرائب كضريبة الرأس وضريبة العشر[1] والتي استمر العمل بها حتى قيام الثورة الفرنسية أين تم إبطالها مع باقي الامتيازات الإقطاعية[2] سنة 1791م.

ج- الحروب الإقطاعية والدينية: لم ينعم المجتمع الأوروبي بالأمن والسلم معظم فترات تاريخه نتيجة الحروب المتواصلة بسبب غزوات القبائل الجرمانية، فقد كانت نزعة القتال عند هؤلاء متأصلة منذ استقرارهم في جوف الإمبراطورية الرومانية[3]، أو نتيجة صراع الإقطاعيين فيما بينهم من أجل التوسع وكسب الأتباع، وهو ما فرض حالة من التأهب والاستعداد الدائم للحرب، الأمر الذي أدى بدوره إلى ظهور طبقة الفرسان التي أضحت طبقة شريفة ذات إمتيازات ومكانة لاسيما في ظل مباركة الكنيسة التي أظفت على الفارس صفة القداسة لأنه جندي من جنود الله، ولذلك شاركت في الحروب الصليبية التي شنها ملوك أوروبا ضد العالم الإسلامي طيلة القرنين 11 و12م بكل حماس وقوة، كما كانت عماد الرجل الإقطاعي في حروبه.

إضافة إلى دور النظام الإقطاعي في إرساء كثير من النظم والتقاليد الاجتماعية (الطبقية، التبعية الحروب) كان للكنيسة أيضا أثرها في الحياة الاجتماعية التي اصطبغت بالصبغة الدينية المتسمة بالجمود بسبب فرضها نمط اجتماعي متزمت وتعاليم تدعو إلى التبتل والتقشف الذي تدعو إليه المسيحية، الأمر الذي جعل المجتمع الأوروبي بعيدا عن روح الخلق والإبداع، فلم يتمكن من الانفصام عن موروث العصور الوسطى وهو ما ولد حالة من الكبت والملل[4]، كانت إيذانا بانفجار

1- تدفع ضريبة الرأس capitation سنويا للسيد، وقد أعاد فرضها ملك فرنسا لويس 14 (1643- 1715م) في نهاية القرن 17م أثناء الحروب، أما ضريبة العشر فتدفع من إنتاج الحبوب والحيوانات، إضافة إلى أعمال السخرة التي يؤديها التابع لسيده خلال أيام معلومة في الأسبوع. نعيم فرح: المرجع السابق، ص74/ جوسيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص120/ زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا في القرن 19م، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ص34.

2- فرنسوا جورج دريفوس وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام من عام 1789م إلى أيامنا، ترجمة حسين حيدر، مراجعة أنطوان أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط1، 1995م، ج3، ص35/ جوزيف نسيم يوسف: المرجع نفسه، ص120.

3- جوزيف نسيم يوسف: المرجع نفسه، ص189.

4- نفسه، ص48.

الوضع وظهور نهضة القرن 12م وحركات الإصلاح الديني، فكانت الكنيسة عندذاك هي أول المستهدفين ونادى المصلحون والحكام بالعلمانية وبفصل الدين عن الدولة .

بظهور النهضة العلمية الأولى في القرن الثاني عشر بدأ التحول في الفكر الاجتماعي لاسيما مع ازدهار التجارة وقيام المدن التجارية وبروز دور الجامعات والمصلحين في تنوير المجتمعات والتي ستأدي إلى تغيير كثير من المفاهيم والنظم الاجتماعية، فقد ظهرت طبقة اجتماعية جديدة هي الطبقة الوسطى أو الطبقة البورجوازية[1] التي مارست التجارة والنشاطات الحرفية والصناعة فأصبحت نتيجة لثرائها فئة معتبرة لها وزنها السياسي والاجتماعي وأدت إلى ظهور المدن التي استقطبت سكان الأرياف الذين وجدوا فيها حريتهم ومكانتهم، وأفل في المقابل التأثير الاقتصادي والاجتماعي لرجال الإكليروس[2] وهو ما فتح الباب أمام العلمانية، كما برز دور المرأة في الحياة الاجتماعية بعد مناداة بعض المفكرين بتحريرها أمثال بطرس دي بوا (1250- 1320م).

أما في الميدان الثقافي فقد تطور التعليم مع مطلع القرن الثالث عشر، وتحول من تعليم ديني لاهوتي يتم في الأديرة والكنائس إلى تعليم حر يتم في الجامعات مثل بولون وباريس، وشمل الآداب والفنون وبعض العلوم، ونادى المفكرون أمثال توماس الإكويني (1225- 1274م) بالعدالة وبخضوع جميع الطبقات للقانون وليس إلى إرادة فردية.

2- الفكر الاجتماعي في عصر النهضة: إن أهم ما ميز عصر النهضة هو ازدهار الدراسات الاجتماعية مع حركة الإنسانيين HUMANISTS MOVMENT أمثال PETRARCH (1304- 1374م) الذي يوصف بأب الحركة الإنسانية وذلك بإحياء التراث الكلاسيكي أي اليوناني والروماني اللذان حررا الفكر من قيود العصور الوسطى ومن سيطرة الكنيسة، فاتجه الكتاب الأدباء والفلاسفة إلى الكتابة بلغات شعبهم المحلية، فكتب DANTEE (1265- 1321م) بالإيطالية و MONTAIGNE بالفرنسية وSHOSSER بالإنجليزية، وبفضل أولئك انتشرت أفكار ومبادىء جديدة عن الحياة كالحرية والكرامة والتمتع بالملذات، وبالقومية وضرورة وضع قوانين واحترامها وتطبيق العدالة والمساواة، وبذلك انطلق الإنسان نحو حياة أكثر واقعية.

1- أطلق مصطلح البورجوازي في البداية على المتمتعين ببعض الحقوق المدنية، ثم أصبح يطلق على مالكي راس مال والذين سكنون في قلاع أو ضياع (BOURGS) ، وكثيرا ما يطلق اسم الطبقة الأرستقراطية على الطبقة البورجوازية. فرنسوا جورج دريفوس وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص45.

2- نفسه، ص40.

رغم بداية تراجع النظام الاقطاعي مع القرن الرابع عشر إلا أنه ظل النمط الاقتصادي والاجتماعي السائد في أغلب ممالك أوروبا، والذي أدى إلى أزمات اجتماعية في بعض الدول، قام بها الفقراء والمعدمون ورجال الدين المصلحين في الفترة بين 1378- 1382م[1]، ولذلك سيكون هذا النظام محل انتقاد وسببا للصراع والثورات، ومنها الثورة الفرنسية.

لقد كان للنهضة انعكاسات على المجتمع الأوروبي فتطورت الحياة الاجتماعية وضعف معها الوازع الديني نتيجة الحرية التي تمتع بها كل من الرجل والمرأة بعد أن كان المجتمع محكوما بمبادىء مقدسة[2]، فانتشرت الأغاني العاطفية المبتذلة وانفكت الروابط الزوجية والأسرية التي أسست لنظام اجتماعي سيظهر بوضوح في الفترة المعاصرة، والذي كان قد نادى به جان جاك روسو (1712-1778م) عندما تطرق إلى العلاقة بين الأولاد وأبيهم، فهو يرى أن هذه العلاقة مؤقتة دعت إليها حاجة الأبناء للرعاية في حالة الصغر، وعليه فبمجرد البلوغ تنحل تلك الرابطة بين الطرفين[3]. كما أدى التطور المديني (تأسيس المدن ونموها) وازدهار التجارة إلى بروز طبقتين (فئتين) كان لهما دورا في تشكل الأفكار والنظم الاجتماعية وما صاحب ذلك من صراع، وهما الطبقة البورجوازية أو الوسطى ثم الطبقة العمالية واللتان سينتج عنهما لاحقا النظامان الرأسمالي والاشتراكي.

1- جان بيرنجيه وآخرون: تاريخ أوروبا العام، ج2، ص116.

2- جان توشار: المرجع السابق، ص151.

3- يقول جان جاك روسو في ذلك: " مجتمع الأسرة أقدم المجتمعات كلها، وهو وحده المجتمع الطبيعي، ومع ذلك فإن الأولاد لا يدوم ارتباطهم بأبيهم إلا طول الزمان الذين فيه يحتاجون إليه لضمان بقائهم، وحالما تنقضي هذه الحاجة، تنحل تلك الرابطة الطبيعية. العقد الاجتماعي، ترجمه إلى العربية بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، المكتبة الشرقية، بيروت، ط3، 2016م، ص14.

المحاضرة 03: **فكر إبن خلدون**

*** تمهيد**

*** علم جديد**

*** إهتمام المؤرخين والمفكرين بالمقدمة**

*** علم الاجتماع عند إبن خلدون**

*** فلسفة التاريخ عند إبن خلدون**

*** ضرورة العمران وأسبابه**

*** أصل العمران وأقسامه:**

أ- العمران البدوي

ب- العمران الحضري (الحضر)

*** العمران والمعاش**

*** العمران والحضارة (المدينة)**

*** خاتمة**

المحاضرة 03: فكر إبن خلدون

تمهيد: يعد ابن خلدون (ت808- 1406م) أحد مفكري ومؤرخي الإسلام في العصر الوسيط، ولعل الكتاب الأول من تاريخه (العبر) المعروف بالمقدمة هو ما أكسبه شهرة لما تضمنه من نظريات وأبحاث في التاريخ والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتعليم وأنواع العلوم، ولذلك فقد ترجمت مقدمته إلى أكثر اللغات العالمية كالألمانية والتركية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

علم جديد: تجلت فلسفة وفكر ابن خلدون من خلال المقدمة في استحداثه لعلم جديد مستقل بنفسه وهو علم العمران أو ما أصبح يعرف لاحقا بعلم الاجتماع، وعن ذلك يقول ابن خلدون: " واعلم أن الكلام في هذا الغرض من ... استحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة، أطلعك عليه البحث وأدى إليه الغوص ... وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة "[1]، ثم يضيف: " ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاما وأعثرنا على علم جعلنا سن بكره وجهينة خبره "[2].

رغم إقرار ابن خلدون باستحداثه لعلم جديد فإنه يعترف بفضل من سبقوه إليه مع تقصيرهم فيه الماوردي (ت450هـ/1058م) والطرطوشي (ت520هـ/ 1126م) وابن المقفع (ت142هـ/ 759م) فيقول " وكذلك تجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه، وكذلك حوم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك وسوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله، لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة "[3].

إهتمام المؤرخين والمفكرين بالمقدمة:

أول من تنبه إلى المقدمة ودرسها وكتب عنها هم المؤرخون العثمانيون كمصطفى بن عبد الله المعروف بكاتب جلبي (1609- 1657م) وشيخ الإسلام محمد صاحب (1674- 1749م) ثم أحمد جودت باشا (1822- 1895م) الذي ترجم المقدمة كلها وكان يقول: " إن أشد من أثروا في تكويني الفكري، ابن تيمية وابن خلدون "[4]، وهؤلاء هم من لفتوا أنظار المستشرقين إلى قيمة المقدمة، فاهتموا بها منذ

1- ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 2006م- 1427هـ، ص5، 29/ أيمن فتحي الحجاوي: ابن خلدون والمادية التاريخية، المؤتمر العلمي الدولي " ابن خلدون علامة الشرق والغرب "، 2012م، ص7.

2- نفسه، ص31. والمقصود بسن بكره أي أول المبادرين إليه، أما جهينة خبره فمأخوذ من المثل العربي في البيت الشعري:

سألت عن حصين كي تركب ... وعد جهينة الخبر اليقين

3- نفسه، ص30- 31.

4- محمد العبدة: قيام الدول وسقوطها، دار الصفوة للنشر والتوزيع، دط، ص14.

العقد الثاني من القرن 19م[1]، يقول عنها المؤرخ أرنولد توينبي (1889- 1975م): " إن ابن خلدون قد ألهم وصاغ فلسفة للتاريخ هي بلا ريب أعظم عمل من نوعه "[2]، أما ROBERT FLINT الفيلسوف صاحب كتاب تاريخ فلسفة التاريخ فيقول:" من جهة علم التاريخ أو فلسفة التاريخ، يتحلى الأدب العربي باسم من ألمع الأسماء، فلا العالم الكلاسيكي في القرون القديمة، ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيع أن يقدم إسما يضاهي في لمعانه ذلك الإسم "[3]، بينما يقول الحصري عن أفكاره الاقتصادية:" وأجزم بلا تردد بأن الشرف يعود إلى ابن خلدون الذي سبق مونتيسكيو في هذا المضمار مدة تزيد عن ثلاثة قرون ... فإن الآراء التي يبديها المفكر المغربي الذي عرف فيما بعد باسم المادية التاريخية منذ عهد كارل ماركس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر "[4]. أما في البلاد العربية فقد اهتم بالمقدمة مؤرخا تونس ابن أبي ضياف وخير الدين باشا (1810- 1879م) الذي تأثر بها في كتابه: " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "[5]، كما درسها الشيخ رشيد رضا بمقالاته في مجلة المنار.

علم الاجتماع عند ابن خلدون: يعبر ابن خلدون عن هذا العلم بعلم العمران أو الاجتماع البشري الذي يعتبره ضرورة لأنه من طبائع البشر كما يقول الفلاسفة الإنسان مدني بالطبع[6].

يعرف ابن خلدون هذا العلم بقوله:" هو التساكن والتنازل في مصر أو جالة للأنس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش "[7]، وعليه فإن هذا العلم يدرس التجمعات البشرية وما يرافقها أو ينتج عنها من مظاهر اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية.

1- أشاد المستشرقون ومن بينهم الهولندي T.J DE BOER بمقدمة ابن خلدون لأنه تطرق لبعض الجوانب المادية عندما تكلم عن العمل والكسب والثروة وأثرها في الاجتماع البشري والدولة، والتي تتوافق مع تفسيرهم المادي للتاريخ، وقد رد عليهم عماد الدين خليل في كتابه: ابن خلدون إسلاميا. ضياء الدين رجب شهاب الدين: الدر المصون بتهذيب مقدمة ابن خلدون، دار الفتح، الشارقة، ط1، 1416هـ- 1995م، ص8/ ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون – طبعة موسعة – مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1387هـ- 1967م، ص249.

2- ضياء الدين رجب شهاب الدين: المرجع نفسه، ص14- 15/ عماد الدين خليل: ابن خلدون إسلاميا، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ- 1983م، الفصل الأول.

3- نقلا عن ساطع الحصري: المرجع نفسه، ص175- 176.

4 - نفسه، ص209- 210.

5- يقول عن العمران والسياسة والحكم: " ومن تصفح الفصل الثالث من الكتاب الأول من مقدمة ابن خلدون رأى أدلة ناصعة على أن الظلم مؤذن بخراب العمران " ثم يضيف: " وما ذكرناه (في السياسة والحكم) أشار إليه ابن خلدون في فصل الإمامة " ويقول أيضا: " وقد رأينا بالمشاهدة أن البلدان التي ارتقت إلى أعلى درجات العمران هي التي تأسست بها عروق الحرية ". أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مطبعة تونس، ط1، 1284هـ- 1867م، ص10، 12، 77.

6- المقدمة، ص29.

7- نفسه، ص31.

فلسفة التاريخ عند ابن خلدون:

ينطلق ابن خلدون من حقيقة التاريخ لدراسة العمران أو بالأحرى تفسير التاريخ ومعرفة حقيقته عن طريق هذا العلم فيقول:" وإذا كان ذلك- صدق وصحة الأخبار - فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران "[1]، وبذلك فهو لم يفسر التاريخ كمجرد أحداث، بل هو نشاط اجتماعي وحركة وتطور تدريجي مستمر، فيقول:" ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام "[2].

يفسر ابن خلدون التاريخ إذن بموضوعية وذلك عندما يربطه بالاجتماع، فيقول:" والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم، فللعمران طبائع في أحواله توجع إليها الأخبار "[3] ثم يضيف ذلك أكثر بعرضه أربعة عناصر واقعية وهي: عوائد الناس، قواعد السياسة، طبيعى العمران ثم أحوال الاجتماع الإنساني، فيقول:" لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني "[4]، وعليه فإن الوقائع أو مجرى التاريخ يصبح علما أو معرفة عند ربطه بالأسباب والأبعاد والنتائج، وعنه يقول" وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق "[5].

لا يعتبر ابن خلدون التاريخ ثابتا ويسير على وتيرة واحدة، بل هو حركة مستمرة كما أسلفنا، وكأنه كان يتنبأ بتطور اجتماعي[6]، أو بضرورة ذلك على الأصح، فيقول:" وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ونتقال من حال إلى حال "[7]. ويبدو منطلق نظرية ابن خلدون هذه ثقافته الإسلامية على أن ذلك سنة الله في خلقه، كما يلاحظ أن نظرته لم تكن نظرة ضيقة ومحدودة من خلال البيئة المغربية أو العربية

1- المقدمة، ص27، 29.

2 - نفسه، ص22.

3 - نفسه، ص4.

4 - نفسه، ص8.

5- نفسه، ص3.

6- ربط البعض ذلك بالتطور الذي تحدث عنه كارل ماركس في نظرية الانتقال من المشاعية البدائية ثم العبودية فالإقطاعية ثم الرأسمالية ومنها إلى الإشتراكية التي تنتهي بالشيوعية. المهدي لحمامد:" **النظرية الاجتماعية بين عبد الرحمن بن خلدون وكارل ماركس** " مجلة العلوم الاجتماعية، المركز العربي الدمقراطي، برلين، ع2، ديسمبر2017م، صص35- 47، ص40.

7- المقدمة، ص22.

كنموذج، بل نظرته عالمية، وكأنه تنبيه واستشراف لما ستكون عليه هذه المعمورة ومكانة العالم الإسلامي فيها.

ضرورة العمران وأسبابه: لما كان الإنسان مميزا عن باقي المخلوقات فإن العمران أصبح بالنسبة إليه ضرورة اجتماعية، وهنا يلتفت ابن خلدون إلى أهمية العمران والاجتماع البشري الذي يجعله سابقا عن التاريخ لأنه يمثل جوهر الخبر التاريخي[1]، وتكمن ضرورة العمران للأسباب الآتية:

* حاجة الناس إلى حكم وسلطان ينظم حياتهم إذ لا يكتمل العمران إلا بالسياسة، وعن ذلك يقول: " فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم ... فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان "[2].

* حاجتهم إلى المعاش الذي يكون بالاسترزاق والاكتساب والعمل من خلال التعامل والتعاون فيما بينهم[3] كالتجارة وأنواع المعاملات.

* ضرورة التعاون على الحاجات لاستحالة الإنسان بمفرده الحصول على حاجاته لأن قدرة الواحد قاصرة فلا بد له من التعاون على أمور حياته، وفيه يقول:" إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته ... وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة ... فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة "[4]، فابن خلدون يؤمن بالعمل والتخصص فيه أي تقسيم العمل حيث يقوم كل واحد بمهمة معينة يكمل بها عمل وحاجة الآخر.

هناك نقطة مهمة أشار إليها بعض الدارسين لفكر ابن خلدون، وهي قول المستشرقين بالجبرية أو القدرية fatalisme للفكر الإسلامي عموما ومنه الفكر الخلدوني، فيتهمون الإسلام بأنه دين الإتكالية والإيمان بالقدر، وهي قيم تحول بين المسلمين وبين إحراز أي تقدم اجتماعي[5] فابن خلدون لم يكن جبريا، يرجع الحوادث كلها للقضاء والقدر، وإنما كان يرى أن الأمور تحدث وفق مستقر العادة، ولأن

1- رشا جليس:" **مفهوم العمران والتغير الاجتماعي عند ابن خلدون** " مجلة العلوم الاجتماعية، المركز العربي الديمقراطي، برلين، ع2، ديسمبر 2017م، صص28- 34، ص30.

2- ابن خلدون: المقدمة، ص31، 34، 238/ الخوارزمي: مفيد العلوم ومبيد الهموم، دار التقدم، مصر، 1323هـ- 1906م، ص278.

3- المقدمة، ص31، 96.

4 - نفسه، ص33.

5- محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994م، ص83- 84/ ليوبولد فايس (محمد أسد بعد إسلامه): الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد علي، منشورات الجمل، بغداد- بيروت، ط1، 2010م، ص290.

اعتقاد المسلمين للقدر يتعلق بالماضي، لأن الماضي وقع وبالتالي لا يمكن تغييره، أما المستقبل فواجب الإنسان الفكر والعمل وانتظار إرادة الله وتوفيقه، وقد وعد الله المؤمن العامل بالنجاح في الحياة، قال تعالى ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون))[1].

أصل العمران وأقسامه: يعتبر ابن خلدون العمران أمرا طبيعيا وضرورة اجتماعية[2] دعا إليها الاجتماع والتعاون البشري، وهذا أصل منشأه، ففي البداية كان كفكرة ثم أصبح أمرا واقعا، وقبل أن يصبح كذلك مر بمرحلتين، يربطهما ابن خلدون العمران بجانبين اجتماعي وإقتصادي أي على أساس أحوال الناس من حيث معاشهم[3]، وهو بذلك يعطي قيمة للعمل والانتاج للاستقرار والتحضر، الأمر الذي أكد عليه الإقتصاديون في العصر الحديث أين ربطوا سياسة الدول بالإنتاج[4]، وهذان القسمان هما:

أ- العمران البدوي: أو البدو وهم سكان البوادي والجبال المقتصرون في حياتهم على الضروري، وهم أصل للمدن وللحضر أي أن البداوة مرحلة أولية للحضارة، والقرى مرحلة أولية للمدينة ولذلك فهما سابقين عليهما وأصل لهما، والسبب في ذلك أن العمران البدوي يمثل الضروري، فهو أقدم من الحاجي والكمالي، ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة، مرحلة ما قبل الترف، فحياة البداوة فرضت على السكان مثلا تربية المواشي التي لا تحتاج إلى استقرار وعمران، بل إلى التنقل واتساع المسارح[5].

ب- العمران الحضري (الحضر): وهو الذي بالأمصار والمدن والقرى والذي ينتحل أهله في معاشهم الصنائع والتجارة، ومكاسبهم أنمى وأرفه ولذلك أحوالهم متسعة من حيث المسكن والمطعم والملبس ويرى أن سبب العمران الحضري هو الانتقال من الضروري إلى الكمالي في المعاش والجنوح إلى الدعة والسكون وهي مرحلة الترف، ثم يكتمل بتأسيس الملك، أي أن للعمران صورة وهي السياسة والحكم أو الدولة، ومادة وهي الاجتماع البشري. وعن هذا الانتقال يستنتج ابن خلدون ملاحظتين اجتماعيتين:

1- سورة النور، الآية 55.

2- المقدمة، ص27، 29، 33- 34.

3- نفسه، ص96.

4- ماريا لويزا برنيري: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة عطيات أبو السعود، مراجعة عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م، ص266.

5- المقدمة، ص31، ص96- 97- 98.

* أن البدوي إذا بلغ درجة التمدن أي الحضارة فإنه لا يتشوف إلى أحوال البادية[1].

* المدن مرافق عامة لا خاصة تحتاج إلى التعاون والاجتماع[2].

العمران والمعاش: غالبا ما نلاحظ أهمية الجانب الإقتصادي في فكر ابن خلدون ولاسيما في موضوع العمران (الجباية والأموال، الأسواق والعقار، التجارة، الفلاحة، الصنائع ...) حيث يربط العمران بنوعيه البدوي والحضري بالحياة الاجتماعية وهي المعاش، فلما كان البدوي يعتمد على الضروري منه فإن العمران جاء بسيطا، أما الحضري فإن الإنسان زاد على الضروري الكمالي المؤدي إلى الترف لأنه غاية العمران والحضارة، ولذلك صارت الحياة أكثر تعقيدا وفي حاجة إلى تعاون، ويركز على الصنائع[3] التي هي معاش أهل الحضر، وبالتالي كلما زادت الصنائع استبحر العمران، وإذا فقدت الأعمال أو قلت بنقصان العمران قلت أسباب المعاش[4]، وبالمقابل تتأثر الصنائع من حيث الكثرة والجودة بالعمران فيقول في باب المعاش أن الصنائع تكمل بكمال العمران الحضري، وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع[5].

المعاش ووجوهه: يعرف العلامة ابن خلدون المعاش بأنه ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله، وهو مفعل من العيش ، كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه، جعلت موضعا له على طريق المبالغة، ويكون تحصيله بالجباية والمغرم أو بالصيد أو بالفلاحة والصنائع والتجارة، فإذا كان الكسب الذي هو قيم الأعمال بمقدار الضرورة والحاجة فهو معاشا، وإذا زاد عن ذلك كان رياشا ومتمولا[6].

يعتبر ابن خلدون السعي والعمل شرطا للحصول على الكسب أو المعاش فقال:" اعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد في التحصيل، فلا بد في الرزق من سعي وعمل "[7] وقد أمر الله تعالى بذلك فقال: ((**... فابتغوا عند الله الرزق ...**))[8]، وهو تنبيه إلى الناس بوجوب اكتسابه بالطرق الحلال، ويبين ذلك بأمثلة بأنه إذا نقص العمران رفع الكسب، أما الأمصار التي يكون عمرانها أكثر،

1- ابن خلدون: المقدمة، ص98.

2- نفسه، ص270، ص284.

3- يقسم ابن خلدون الصنائع إلى قسمين رئيسين: ضروري كالفلاحة والبناء والخياطة والحياكة، والنجارة ، وشريف كالطب والكتابة والوراقة. المقدمة، ص319.

4- نفسه، ص284، ص297، 301.

5- نفسه، ص315.

6- نفسه، صص300- 302.

7 - نفسه، ص300.

8- سورة العنكبوت: الآية 17.

يكون أهلها أوسع أحوالا وأشد رفاهية[1]، وبذلك يكون ابن خلدون قد أثبت نظرية إقتصادية وهي أن التطور أو ا لتقدم لايكون إلا بالعمل والعلم.

العمران والحضارة (المدينة): لما كانت الحضارة غاية العمران، والعمران غاية المدينة، فقد أولى ابن خلدون أهمية للمدينة وعقد لها بعض الفصول باعتبارها مظهرا للترف والدعة والسكون، وهي أقصى ما يطلبه الإنسان، ولما كانت المدينة أيضا هي قرار الإنسان، وجب أن يراعى فيها أمران: حمايتها من طرق العدو، ويكون ذلك بأمران: بشري وهو التحصين بالأسوار التي ينشئها أهل المدينة، وطبيعي بأن تنشأ في هضبة أو مكان وعر بجبل أو باستدارة بحر ونهر. أما الأمر الثاني فهو مراعاة الظروف الطبيعية والبيئية، كطيب الهواء والسلامة من الأمراض ووفرة المياه والمراعي، والغابة للإحتطاب[2].

خاتمة: من خلال المقدمة يكون ابن خلدون كأول مؤسس لعلم الاجتماع الحديث من خلال تطرقه لمجمل المواضيع التي تمثل حياة الإنسان ونشاطاته وغاياته، انطلاقا من نظرته وتفسيره للتاريخ إلى علم الجغرافيا والبيئة، ثم المدينة ومرافقها إلى الأنشطة الإقتصادية من تجارة وفلاحة وصنائع، ولم يقتصر على عرضها فقط، بل بتحليلها من خلال التطور والمتغيرات، انتهاء بالجوانب الثقافية والعلمية بنوعيها النقلية والعقلية، وبذلك جاءت مقدمته متكاملة إلى حدٍ ما.

1- المقدمة، ص300- 301. يوضح ابن خلدون ذلك أكثر فيقول:" حتى إن الأنهار والعيون ينقطع جريها في القفر، لما أن فور العيون إنما يكون بالإنباط و الامتراء الذي هو بالعمل الإنساني كالحال في ضروع الأنعام، فما لم يكن إنباط ولا امتراء نضبت وغارت بالجملة.

2- نفسه، ص273.

المحاضرة 04: نظرية العقد الاجتماعي

*** تمهيد**

*** العقد الاجتماعي وفلاسفته:**

1- توماس هوبز

* السلطة والدولة عند هوبز

2- جون لوك

* المجتمع والسلطة السياسية (الدولة)

3- جان جاك روسو

* الحرية والعقد الاجتماعي

* نظام الحكم (السلطة)

*** مونتيسكيو والدولة**

*** السلطة والحكم عند دفيد هيوم**

*** الدولة عند هيغل**

المحاضرة: 04 نظرية العقد الاجتماعي

تمهيد: تعد قضية السلطة والحكم من المواضيع الحساسة التي شغلت فكر الفلاسفة والسياسيين والقانونيين منذ بداية ظهور المجتمعات المنظمة (قيام الدول)، وذلك لارتباطها بقضايا اجتماعية أكثر جدلا، كالحرية والمساواة، والحق والواجب، المواطنة ... والمتتبع للحروب والصراعات وبخاصة الداخلية منها، سيرى أن معظمها كان حول الحكم وممارسة السلطة، وما يتعلق بها، ونتيجة لذلك ظهرت منذ القديم نظريات حول شكل الدولة، وما الأسس التي تقوم عليها ؟ وما نظام الحكم فيها ؟ وما مكانة الأفراد وعلاقتهم بها وأهميتها بالنسبة لهم ؟

العقد الاجتماعي وفلاسفته: هو نظرية اجتماعية وسياسية تحدد الحالة التي تكون عليها الجماعات البشرية، أي إيجاد سلطة عليا عن طريق إتفاق الجماعة على عقد فيما بينهم (social contract) ينقل جماعتهم من الحالة الطبيعية البدائية (قبل السياسية) أو القوانين الفطرية إلى حالة منظمة، أي إقامة دولة، يكون بموجبها العقد بمثابة إطار تنتظم فيه العلاقات سواء بين الحاكم والمحكومين، أو المحكومين فيما بينهم، وباختصار فإن العقد أو العهد الاجتماعي هو إتفاقية معقودة بين الناس ومن قبل كل فرد يكون فيها تفويض متبادل للحقوق، يخضعون فيها لسلطة عليا واحدة، على أن تكون هذه السلطة نفسها في يد الشعب نفسه[1]. ومن أشهر فلاسفة النظرية التعاقدية في العصر الحديث:

1- توماس هوبز[2] THOMAS HOBBS (1588- 1679م): فيلسوف إنجليزي، وأحد رواد الفلسفة السياسية في القرن 17م، درس في جامعة أكسفورد (OXFORD)، فر إلى فرنسا سنة 1640م بسبب آرائه المؤيدة للملكية، وأقام هناك إلى أن استرد الملك تشارلز الثاني (CHARLES II/ 1660- 1685م) العرش، من أشهر مؤلفاته: مبادئ – أو عناصر القانون elements of law الذي صدر سنة 1640م، وكتاب المواطن de civi عام 1642م، وهو أول من وضع كتابا في العقد الاجتماعي أطلق عليه التنين liviathan عام 1650م حيث قصد به أن يكون الحاكم في المجتمع الناشئ من العقد هائلا مثل الحيوان البحري المخيف[3].

1- توماس هوبز: اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة رضوان السيد، كلمة، أبو ظبي، ط1، 1432هـ- 2011م، ص142، 183/ ليو شتراوس- جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، ترجمة محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م، ج2، ص42، ف 149، ص50.

2- عن هوبز ونظريته،ينظر، محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص325/ ماريا لويزا برنيري: المرجع السابق، ص186/ إميل برهيي: تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1994م، ج4، ص174/ جون توشار: المرجع السابق، ص257 وما بعدها.

3- كوينتن سكنر: أسس الفكر السياسي الحديث، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012م، ص589.

يرى توماس هوبز أن الإنسان في مرحلة ما قبل المجتمع أو المرحلة الطبيعية كان فيها الناس متساوون، وعن هذه المساواة انبثق الحذر بسبب اهتمام كل فرد بمصلحته الذاتية بناء على غريزة حب البقاء كحق طبيعي وبالتالي إذا استعمل كل واحد هذا الحق فستكون حرب الجميع ضد الجميع[1] BELLUM OMNIUM CONTRA OMNES، فيقول:" إذا رغب شخصان شيئا واحدا يقدران على الاستمتاع به كلاهما فإنهما يصبحان عدوين، يحاول كل منهما تدمير أو إخضاع، وذلك لثلاثة أسباب: المنافسة لتحقيق الكسب، وعدم الثقة من أجل الأمن ثم المجد من أجل السمعة[2]، ثم يضيف:" ولطالما تمسك كل إنسان بالحق في أن يفعل أي شيئ يود أن يفعله يكون البشر جميعا في حالة حرب " أي حالة فوضى تكون فيها الغلبة للأقوى، ولذلك بات من الضروري البحث عن وسيلة لتحقيق الحماية والأمن عن طريق عقد يفرضه العقل الرشيد، من خلال التفويض المتبادل للحقوق، يدخل بموجب هذا العقد جميع الأفراد تحت سلطة شخص (الملك) على ألا يكون هذا الأخير طرفا في العقد، بحيث يتنازلون بمقتضاه عن حقوقهم الطبيعية مقابل العيش في مجتمع منظم (دولة)، وبموجب هذا العقد أيضا تصبح الدولة ملزمة بالدفاع عن المواطن لأنه لم يتخلى عن حقوقه إلا من أجل حمايته[3].

يعترض مونتيسكيو على حالة الحرب التي يقول بها هوبز في مرحلة الطبيعة (ما قبل الدولة) ويرى أنها وجدت بعد تأسيس المجتمعات أي الدول، وعليه فالحرب ليست فكرة أو صورة نمطية مرتبطة بمجتمع بدائي عاش حالة اتسمت بالفوضى والهمجية، فقد تقوم الحروب حتى في المراحل التي بلغ فيها الإنسان درجة من التقدم[4].

السلطة والدولة عند هوبز: سبب نشوء الدولة هو رغبة الناس في الخروج من حالة الحرب التي كانوا عليها في المرحلة الطبيعية إلى العيش في ظل المجتمع المدني أو القوانين المدنية التي هي بمثابة الضمير العام الذي تصب فيه إرادتهم الواحدة[5]. فالدولة عنده تملك السيادة والقوة[6] (تنين).

1- توماس هوبز: المصدر السابق، ص140/ هيغل: العقل في التاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق إمام عبد الفتاح إمام.، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007م، ص112/ ليو شتراوس: المرجع السابق، ج3، ص199.

2- توماس هوبز: المصدر نفسه، ص132- 134/ كوينتن سكنر: المرجع السابق، ص590.

3- توماس هوبز: نفسه، ص136، 179.

4- مونتيسكيو: روح الشرائع، ج1، ص15.

5- توماس هوبز: نفسه، ص175- 176/ ليو شتراوس: المرجع نفسه، ص14- 15.

6- توماس هوبز: نفسه، ص180/ ليو شتراوس: المرجع نفسه، ج2، ص15/ أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، دط، ص51.

حدد هوبز ثلاثة أنواع من الدول : عندما يكون الممثل شخصا واحدا فهو النظام الملكي الذي اعتبره أفضل أنواع الحكم، وأعطى الملك كامل الصلاحيات السياسية والدينية والقانونية، وبعدم فصل السلطات (الملكية المطلقة) بداعي المصلحة العليا للأفراد، فالخضوع لسلطة ولو كانت مستبدة أفضل من حالة الفوضى، ويبرر ذلك بأنه لا فرق بين المصلحة الخاصة والعامة، فالمصدر الوحيد لثروات وسلطة وشرف العاهل هي ثروات وقوة وسمعة أفراد مملكته، ثم أن المصلحة الشخصية للعاهل منتفية بحيث يستحيل أن يكون الملك على خلاف مع ذاته من باب المصلحة، بينما تستطيع المجموعة أن تكون المجموعة على هذا النحو إلى حد أنها تسبب حربا أهلية، ثم يستطرد أنه حتى إذا كانت للعاهل سيئة كاستغلال الأقارب أو المتلمقين والتقرب إليه بمصالح شخصية، فهم بالنسبة للواحد أي العاهل قلة، بينما يكون في المجموعة أكثر عددا، ثم أن هذه المساوئ قد تكون هي نفسها أو أكثر منها في باقي الأنظمة، أو تعود إلى الأشخاص وليس الملك[1]، كما يعتبر الحاكم المطلق هو القانون الأعلى، فلو خضع هذا الحاكم للقانون فقد جعلنا القاضي فوقه مما يعني إقامة حاكم ثالث مطلق وهكذا دواليك دونما نهاية حتى الوصول إلى الفوضى وإلى حل الدولة[2].

إضافة إلى النظام الملكي هناك مجموعة الكل وهي الدولة الديمقراطية، ثم مجموعة قسم دون سواه وهي الدولة الأرستقراطية، ثم أورد تسميات أخرى لم يعتبرها أنواعا للحكم، بل مصطلحات مضادة للأنظمة الثلاثة السابقة، فالحكم الاستبدادي ضد الملكي، وحكومة الأقلية ضد الأرستقراطية والفوضى ضد الديمقراطية[3].

2- جون لوك[4] JOHN LOCKE (1632- 1704م): فيلسوف إنجليزي، ولد بالقرب من بريستول، درس الفلسفة الأرسطية واللغة اليونانية والمنطق والأخلاق بجامعة أكسفورد، كما درس الطب وعمل طبيبا، أقام بفرنسا من 1672م إلى 1679م، ومنها إلى هولندا سنة 1683م بسبب الصراعات السياسية وهناك كتب رسالة أو بحثا في العقل البشري DE INTELLECTU HUMANO، عاد من منفاه إلى إنجلترا سنة 1689م ، كان من دعاة التسامح الديني ومن الممهدين لثورة 1688 م ببلده إنجلترا، وقد تأثر بأفكاره بعض الفلاسفة والأدباء مثل فولتير (1694- 1778م) ومونتيسكيو (1689- 1755م) وغيرهما.

1- توماس هوبز: المصدر السابق، ص193 وما بعدها.

2- نفسه، ص322.

3- نفسه، ص194.

4- عن جون لوك وفلسفته ينظر، جون بيرانجي وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن 14م وحتى نهاية القرن 18م، ج2، ص641 وما بعدها/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص326/ عبد العزيز سليمان نوار: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص221/ إميل براهيي: تاريخ الفلسفة، ص324.

يرى لوك أن حياة الفطرة حياة حسنة، كان يتمتع فيها كل واحد بثلاثة حقوق: الحياة والحرية والملكية[1]، ولم تكن فوضى وحروب كما قال هوبز، بل ينقصها التنظيم فقط، وهذا التنظيم يتطلب عقدا يتنازل بموجبه الأفراد عن جزء من حرياتهم مقابل الاحتفاظ بالجزء الآخر من حقوقهم وحرياتهم للعيش تحت سلطة منظمة تراعي الحقوق، وبالتالي فإن أصل وجود الجماعة هو العقد الاجتماعي الذي نقل الأفراد من حالتهم الطبيعية الأولى إلى المجتمع المدني المنظم[2].

الحرية: ينطلق لوك من مبدأ أن الناس خلقوا بطبعهم أحرارا متساوين ومستقلين[3]، لكن لا يجب أن تفهم الحرية على أن الناس لا يردعهم أي قانون، أي ليست مطلقة إذ لها حدودا لا يمكن للمرأ أن يتخطاها[4] وذلك درءا لتعدي الناس على بعضهم البعض بحجة الحرية، وحرية الفرد في المجتمع هي عدم خضوعه لغير السلطة القانونية، وحرية الأفراد في ظل الحكومة تعني أيضا وجود نظام دائم يلتزمونه، نظام يسري على جميع أفراد المجتمع ويكون للطاقة القانونية كيان واضح فيه[5].

المجتمع والسلطة السياسية(الدولة): يطلق لوك على السلطة الحكومة المدنية، وهو ما يفهم منها حضور أحد أهم جوانب الديمقراطية وهي:" السيادة للشعب ". ورغم أن السلطة بالنسبة إليه أمرا ضروريا حيث يقول:" الحكومة المدنية علاجا ناجعا للمشاكل التي تجلبها الطبيعة حينما يفصل الناس في قضاياهم بأنفسهم"[6]، فالحاكم ليست سلطته مطلقة عليا كما يرى أصحاب الحق الإلهي من مؤيدي الملكية المطلقة مثل سير روبرت فيلمر SIR ROBERT FILMER (1588- 1663م) بل نتيجة عقد، يكون فيه المواطنون والحاكم طرفاه[7]. إن سلطة الحاكم مقيدة ومحدودة قائمة على رضا المحكومين، يكمن دورها (السلطة) في سن القوانين واستخدام قوة المجتمع في تنفيذها[8]، كما أن واجب الدولة هو مراعاة المصلحة العامة وحماية الأفراد من التعدي على حقوقهم وعدم التدخل في

1- جون لوك: الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي، ترجمة محمود شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، دط، ص15- 16، 23/ كوينتن سكنر: المرجع السابق، ص591/ ليو شتراوس: المرجع السابق، ج2، ص16، 23.

2- يقول جون لوك: إن جوهر العهد الذي يبرمه كل الأعضاء مع بعضهم البعض لكي يكونوا مجتمعا سياسيا هو اتفاق على نقل السلطات التي تكون لكل واحد منهم في حالة الطبيعة. المصدر نفسه، ص14، 17، 42، 47/ برتراند راسل: المرجع السابق، ج3، ص206، 208/ محمود سعيد عمران وآخرون: النظم السياسية عبر العصور، ص326- 327.

3- جون لوك: المصدر نفسه، ص83.

4- جون لوك: المصدر نفسه، ص15/ ليو شتراوس: المرجع نفسه، ج2، فقرة57، ص9.

5- جون لوك: نفسه، ص27.

6- جون لوك: نفسه، ص20/ ليو شتراوس: المرجع نفسه، ج2، ص17.

7 - برتراند راسل: المرجع نفسه، ج3، ص189، 206/ محمود سعيد عمران: المرجع نفسه، ص327.

8- جون لوك: المصدر نفسه، ص11/ ليو شتراوس: المرجع نفسه، ج2، فقرة3، ص8.

حريتهم الدينية، ويرى أيضا أن الحاكم إذا أخل بالتزاماته اتجاه المتعاقدين وجبت مقاومته وجاز لهم فسخ العقد فيقول:" إذ حين يقع الشعب بين براثن السلطة الغاشمة ... فإنه ليس غريبا أن يهبوا هبة واحدة ويحاولوا تولية السلطة لأولئك الذين قد تكفل لهم الغايات التي سألت من أجلها الحكومة[1]، كما نادى بفصل السلطات ولاسيما التشريعية والتنفيذية[2].

كان لأفكار جون لوك صدى عالميا فتأثرت بها كثير من شعوب العالم ولاسيما في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية التي أخذ الثوار بمبادئها في وثيقة إعلان الإستقلال في 02/ 08/ 1776م، وأخذ بها كثير من الفلاسفة الذين أتوا بعده ومنهم روسو، لاسيما وأن مبادئه قد تمخض عنها صدور قانون" الحقوق الأساسية للإنسان " إثر الثورة المجيدة (GLORIOUS REVOLUTION) سنة 1688م، ولذلك يوصف لوك بأنه من واضعي أسس الديمقراطية[3] ورائد الليبرالية الحديثة.

3- جون جاك روسو[4] JOHN JACK ROUSSEAU (1712- 1778م): فيلسوف وأديب وكاتب فرنسي الأصل، ولد بجنيف (سويسرا) ثم استقر بفرنسا، يعد من أهم مفكري عصر التنوير، اهتم بالجوانب الاجتماعية والسياسية، يعد كتابه" العقد الاجتماعي " الذي صدر سنة 1762م بمثابة إنجيل الثورة الفرنسية ودستورها.

الحرية والعقد الاجتماعي: يفتتح روسو كتابه العقد الاجتماعي بعبارة:" ولد الإنسان حرا طليقا، ومع ذلك فهو مثقل بالقيود في كل مكان "[5]، فالحرية حق طبيعي للبشر، وعليه فتنازل الإنسان عن حريته يعني تنازله عن صفته إنسانا[6]. يرى لوك أن حياة الإنسان الفطرية (البدائية) كانت أحسن، لكن حياة الناس فرادى لا يمكن أن تدوم أمام عقبات وقوى الطبيعة، أو في ظل صراعهم ضد بعضهم البعض

1- ليو شتراوس: المرجع السابق، ج2، فقرة 224- 225، ص61.

2- برتراند راسل: المرجع السابق، ج3، ص217.

3- يقول لوك عن الأغلبية: " فإذا كانت الأغلبية التي أصبحت كلا في مجموعها تريد شيئا فلا بد أن يكون هذا الشيئ دون مراعاة لاعتراض فرد أو أفراد قليلين، طالما أنهم قد اختاروا الجماعة في بادئ الأمر ورضوا بتمثيلها لهم ". كما يعتبر الحكم المطلق منافيا لطبيعة المجتمع المدني. الحكومة المدنية، ص83--84/ ليو شتراوس: المرجع السابق، فقرة 90، ص45.

4- عن جان جاك روسو وفلسفته ينظر، برتراند راسل: المرجع السابق، ج3، ص287/ ، محمود سعيد عمران وآخرون: المرجع السابق، ص328/ إميل برهيي: المرجع السابق، ص324/ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ أوروبا من عصر النهضة إلى نهاية الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م، ص84/ عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م، ص298.

5- جون جاك روسو: العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمه إلى العربية بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، المكتبة الشرقية، بيروت، ط3، 2016م، ص13.

6 - نفسه، ص20.

بسبب المصالح ونزعات الشر، ولذلك اضطر الناس إلى التعاون فيما بينهم والتنازل عن حريتهم وقوتهم إلى إرادة عامة عليا وذلك بأن يتعاقدوا بواسطة ميثاق اجتماعي يتساوى فيه الجميع، يحقق لهم الأمن والعدالة ويكفل لهم الحرية المدنية والملكية بالعيش المشترك في ظل دولة (شخصا اصطناعيا) مزودة بسلطة سياسية غايتها حماية مصالح المتعاقدين، فما يريده الفرد تريده هي وما يريده الجميع هو القانون لأنه نتاج الإرادة العامة، وتكون فيها السيادة للجميع فلا يمكن التنازل عنها أو التصرف فيها[1].

كان روسو يرى أن أساس قيام الجماعة ليس هو القوة بل اتفاق إرادي والرغبة في العيش المشترك، واعتبر الملكية الخاصة (حب التملك) التي تتعارض مع النظام الطبيعي هي سبب فساد الأخلاق، وبالتالي فإن إصلاح المجتمع الإنساني لا يتأتى إلا بالتنظيم السياسي الذي تسود فيه العدالة والمساواة بين الأفراد في الحقوق والواجبات.

نظام الحكم (السلطة): يرى روسو أن الحكومة الشرعية هي التي تكون فيها السيادة للشعب[2]، ولم يحدد النظام الأصلح، بل ترك ذلك للظروف وإرادة الشعوب، وإن كان يؤيد النظام الديمقراطي المباشر ومشاركة الشعب في الانتخاب على القوانين وفق مبدأ الأغلبية[3]، وليس لممثليهم الحق في إبرام أي شيء بصفة نهائية وكل قانون لا يصادق عليه الشعب يكون لاغيا.

إضافة إلى الثلاثة المذكورين سابقا والذين اشتهروا بنظرية العقد الاجتماعي، لا بأس أن نضيف إليهم بعض الفلاسفة والمفكرين ممن كانت لهم آراء في هذا الشأن، ولاسيما السلطة والدولة.

مونتيسكيو MONTESQUIEU (1689- 1755م) والدولة: من مؤلفاته: روح الشرائع، أو روح القوانين، تأثر بنظام الحكم في إنجلترا واعتبره مثالا للحكومة الصالحة، يرى أن الإنسان مفطور على العيش في المجتمع[4]، ويرى أن حال الحرب هي التي توجب وضع القوانين، فما كان بين الحكام والمحكومين هو القانون السياسي، وما كان بين المواطنين هو القانون المدني[5]، الأمر الذي جعله يهتدي للعقد الاجتماعي.

1- جون جاك روسو: المصدر السابق، ص20، 27، 34، 55/ ليوشتراوس: المرجع السابق، ج3، ص139/ أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، إشراف أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط2، 2001م، ص224.

2 - جون جاك روسو: المصدر نفسه، ص20.

3- نفسه، فصل التصويت، ص152/ يقول فولتير في كتابه آراء جمهورية عن الحكومة المدنية بأنها إرادة الكل يقوم بتنفيذها شخص أو جملة أشخاص تبعا لقوانين يدين الجميع بالخضوع لها. عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، ص296.

4- مونتيسكيو: روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، دار المعارف، القاهرة، 1954م، ج1، ص14.

5- ليو شتراوس: المرجع السابق، ص74.

قسم مونتيسكيو الحكومة إلى ثلاثة أنوع: الجمهورية بنوعيها الديمقراطية والأرستقراطية، ثم الملكية المقيدة، ثم الحكومة المستبدة، فصل مبادئ وخائص كل واحدة منها[1].

السلطة والحكم عند دفيد هيوم DAVID HUME (1711- 1776م): يرى هيوم أن الحكومة تستمد سلطاتها من رضى المحكومين وأن الإلتزام بالطاعة يقوم على تبادل الوعود في العقد الذي يؤسس الحكومة، ومن حق الرعايا التخلي عن إلتزامهم عندما تصبح الحكومة ظالمة[2]، لأن دافع حفظ الوعود (من جانب الحكومة) يقابل دافع واجب طاعة الحكام (من قبل الشعب) مقابل حقهم في الأمن والحماية وضروريات الحياة[3].

الدولة عند هيغل HEGEL (1770- 1831): ينتقد هيغل فكرة أن الإنسان حر بالطبيعة أو الحرية الطبيعية، فهي لا توجد كشيئ أصلي وطبيعي، ويرى أن حرية الفرد تتحقق في الدولة أي عندما يصبح عضوا فيها، وهدف الدولة ليس الحفاظ على مصالح الأفراد فقط، بل تحقيق الكمال المطلق[4]

حاولت هذه النظريات على اختلافها والتي ظهرت مع التطورات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي عرفتها أوروبا منذ القرن السادس عشر، إيجاد نظام مثالي للدولة ومكانة للفرد بحيث يتمتع فيها كل المواطنين بالحقوق السياسية والمدنية والعدالة، ويلاحظ أن معظمها انطلق من تطلعات الشعوب التواقة لحياة طبيعية قائمة على الحرية والعدالة والمساواة أمام القانون، ولذلك ستكون هذه الأفكار أساس الثورات وقاعدة الدساتير والبرلمانات الأوروبية.

1- روح الشرائع، ج1، ص20 وما بعدها.

2 - ليو شتراوس: المرجع السابق، ص128- 129.

3- DAVID HUME: essays moral, political, and literary,edited with preliminary dissertations and notes, bay T.H. GREEN and T.H. GROSE, LONDON, 1882, T1, p113

4- هيغل: العقل في التاريخ، ص110، 113/ أحمد ظاهر: المرجع السابق، ص، 52، 55/ موسوعة لالاند، ص4.

المحاضرة 05 الفلسفة الماركسية

*** تمهيد**

*** كارل ماركس**

*** الفلسفة المادية**

*** ماركس والمادية التاريخية**

*** مبادئ فلسفته:**

أ- المبدأ الإقتصادي الإنتاجي

ب- المبدأ الاجتماعي

ج- المبدأ السياسي

د- مناهضة الدين (ضد الدين)

* نقد ماركس لفلسفة هيغل

المحاضرة 05: الفلسفة الماركسية.

تمهيد: إذا كان النظام الإقطاعي كنظام سياسي وفكر اجتماعي قد سيطر على فترة طويلة من تاريخ أوروبا حتى أصبح سيمة العصور الوسطى وبخاصة الفترة الممتدة من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر ميلادي، فإن زواله مع بداية القرن الرابع عشر فتح المجال لظهور نظريات إقتصادية واجتماعية جديدة في ظل الفلسفات الحديثة كنتيجة لتطور الدراسات والعلوم والأفكار.

كارل ماركس[1] KARL MARX (1818- 1883م): فيلسوف ألماني واقتصادي وعالم اجتماع وصحافي وكاتب من عائلة يهودية غنية، اعتنق المسيحية (بقي صهيونيا رغم تظاهره بالإلحاد)، درس القانون بجامعة بون سنة 1835م ثم انتقل إلى برلين وهناك بدأت اهتماماته بدراسة الفلسفة ولاسيما فلسفة هيغل (1770- 1831م) انتقل إلى فرنسا أين التقى بالاشتراكي FRIEDRICH ENGELES (1820- 1895م) تأثر بالاشتراكي الفرنسي HENRY DE SAINT SIMON (1760- 1825م) وبالاقتصاديين الإنجليز، ثم انتقل إلى بروكسل حيث انظم إلى حزب الرابطة الشيوعية التي صاغ فيها رفقة إنجلز برنامج ومبادئ الرابطة ونشرا البيان الشيوعي في 21/ 02/ 1848م، من أهم مؤلفاته " رأس المال " كتبه سنة 1867م.

الفلسفة المادية: ركزت المادية أو المذهب المادوي[2] materialisme على الجانب الإقتصادي البحت وتعود زمنيا إلى القرن 18 م عندما زال النظام الإقطاعي ونمت المدن التي تشكل فيها رأس المال التجاري ورأس مال المرابين[3] ، وتعرف با لمادية التقليدية، ويعد البريطاني فرانسيس بيكون F. BACON (1561- 1626م) الأب الحقيقي لها، ثم تطورت بالتطور الصناعي الذي شهدته أوروبا إبتداء من النصف الثاني للقرن 18م ولاسيما في بريطانيا حيث خلقت طبقة من الرأسماليين الكبار الذين اكتسبوا الأموال والثروة، وفي المقابل طبقة من عمال الصناعة تفوقهم بكثير عددا، وهذه الطبقة ستكون محور فلسفة ماركس ومناقشاته ولاسيما طبقة البروليتاريا والنظرية الإشتراكية.

1- عن ماركس وفلسفته ينظر، محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص391 وما بعدها/ علي محمد جريشان ومحمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ط3، 1399هـ- 1979م، ص111 وما بعدها/ مناع قطان: موقف الإسلام من الاشتراكية، دار الثقافة الإسلامية، الرياض، دط، ص13.

2- هناك عدة تعاريف للمادوية، ففي علم الوجود تعني مذهب يقول بعدم وجود جوهر آخر سوى المادة التي تعزى إليها خصائص تتغير وفقا لاختلاف صور المادوية. أما المادية الجدلية فتنظر إلى الكون لا على أنه ثابت لا يتغير، بل أنه في عملية تطور مستمر، وهي تبحث عن تفسير حركة الكون وقوتها المحركة لا بابتداع خيال مثالي وإنما داخل العمليات المادية ذاتها. موسوعة لالاند الفلسفية، ص767/ موريس كونفورث: مدخل إلى المادية الجدلية، ترجمة محمد مستجير مصطفى، دار الفرابي، بيروت، ط5، 2015م، ص85.

3- أنطوني جدنز: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تحليل كتابات ماركس ودوركهايم وماكس فيبر، ترجمة أديب يوسف شيش، مطبوعات جامعة كمبريج، دط، ص39.

ماركس والمادية التاريخية: يعد ماركس محيي النزعة المادية، وهو الذي زودها بتفسير جديد وبارتباط جديد بالتاريخ الإنساني[1]، إنطلق ماركس في فهمه للتاريخ من نظرة مادية وليست مثالية، ففسر وعي البشر إنطلاقا من وجودهم بدل تفسير وجودهم إنطلاقا من وعيهم، فهو يرى أن الاشتراكية ظهرت كنتيجة ضرورية لصراع طبقتين نشأتا تاريخيا وهما البروليتاريا والبورجوازية[2].

إعتمد الفكر الفلسفي الماركسي على مادية فيورباخ[3]، والجدل الهيغلي (المنهج) لكن خالفه في التأويل[4]، وانصب على الجانب الإقتصادي الانتاجي الذي يعتبره اللب الحي للمجتمع ولذلك جاءت نظرته للتاريخ نظرة مادية تقوم على الإقتصاد وقيمة العمل[5]، ونقيض للمثالية الهيغلية[6]، فإذا كانت هذه الأخيرة ترى أن هناك عالم غير مادي أعلى وأكثر صدقا سبق العالم المادي وهو المصدر النهائي لهذا العالم وسببه، أي يوجد خلف الواقع المادي واقع روحي أعلى، فإن الماركسية ترى عالما واحدا هو العالم المادي[7]، وهي النقطة التي انطلقت منها في مناهضتها للرأسمالية المستغلة للعمال والفلاحين مع النصف الأول من القرن التاسع عشر[8].

1- تعني المادية التاريخية عند ماركس أن تطور حياة الإنسان هو تطور اجتماعي وليس طبيعي، بل تاريخي أي أن الإنسان طور حياته عبر التاريخ. برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، ص425- 426/أنطوني جدنز: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ص195.

2- فريديرك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2013م، ص119.

3- LUDWIG FEUERBACH : فيلسوف ألماني (1804- 1872م) يؤمن بالمادية والواقع. شن حربا على الفلسفة التأملية والمتدينين لذوبانهم المطلق فيما هو ألوهي وابتعادهم عن الأنسنة (إلحاد)، تتلمذ على هيغل ثم أصبح من أبرز معارضيه، من أهم كتبه نقد الفلسفة الهيغلية.

4- كان ماركس ملحدا بعنف، يكره اللاهوت وكل ماهو فوق الحس، وهو ما جعله ربما يعارض هيغل ذو النزعة المسيحية، لاسيما وأن المثالية كانت طوال التاريخ سلاحا للرجعية، فقد استخدمت لتبرير حكم الطبقة المستغلة. موريس كونفورث: المرجع السابق، ص43/ إمام عبد الفتاح إمام : المنهج الجدلي عند هيغل، ص301، 307.

5- ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية، ص467- 468.

6- المثالية IDEALISME: نزعة فلسفية تقوم على رد كل وجود إلى الفكر، ظهرت كمصطلح فاسفي مع نهاية القرن 17م، ومن رواده هيغل صاحب المثالية التاريخية الذي يجعل الفكر أو العقل أو الروح مصدرا أساسيا للمعرفة، أي أن الموجودات ليس لها وجود حقيقي إلا إذا ارتنبطت بالعقل، وبالعكس فكل ما هو عقلي يمكن أن يكون واقعيا، فالعقل قوة قادرة على السيطرة على العالم المادي مما يؤدي في النهاية إلى توحيد العالمين المادي والعقلي في عالم عقلي واحد، أي أن ماهية الإنسان هي العقل، والتاريخ عنده تاريخ الأفكار. هيغل: العقل في التاريخ، ص111/ موسوعة لالاند الفلسفية، ص585/ فريديرك إنجلز: المصدر نفسه، ص119/ أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، ص110/ إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيغل، دراسة لمنطق هيغل، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007، ص15/ عبد الله بوقرن: الأخر في جدلية التاريخ عند هيغل، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 1427- 1428هـ/ 2006- 2007م، ص163.

7- موريس كونفورث: المرجع السابق، ص36.

8- فرنسوا جورج دريفوس: موسوعة تاريخ أوروبا العام، ج3، ص43، ص159.

مبادئ فلسفته: قامت فلسفته على أساس مادي، فالفكر عنده ليس هو الذي يسيطر على حياة الإنسان ولكن نمط معيشته هو الذي يكيِّف طريقة تفكيره، وعليه فالنظم الاجتماعية والسياسية ليست وليدة الفكر، بل وليدة الحياة المادية أي تفسير التاريخ تفسيرا ماديا، فأحداث التاريخ من حروب وثورات وقيام دول وأنظمة إنما تفسر على أساس عوامل اقتصادية وحدها، ولذلك انطلق من حقائق تاريخية لبعض الحضارات القديمة حيث أدت الملكية الفردية لوسائل الإنتاج إلى صراع بين طبقتين تمثلت أولا في صراع العبيد ضد الأحرار، ثم العامة ضد الأشراف، ثم البروليتاريا ضد البورجوازية ولذلك يعتبر البعض ثورات 1848 م التي عمت بعض دول أوروبا استمرارا لهذا الصراع[1].

أ- المبدأ الإقتصادي الإنتاجي: ما من مجتمع أو حضارة إلا وكانت نابعة من منجزاتها المادية[2]، وكثيرا ما يعزو مؤرخو الحضارات وبخاصة الحضارات القديمة قيمتها إلى عمرانها ونشاطها الإقتصادي، وبقيام الصناعة الحديثة وتدفق رؤوس الأموال أصبحت الحياة أكثر تعقيدا ومادية، وأصبح معها التفكير أكثر مادية، ولذلك اعتبر ماركس الإنتاج المادي هو أساس كل العالم الحسي منتقدا فيورباخ بأنه إذا توقف الإنتاج ولو لسنة واحدة فإن فيورباخ لن يجد فحسب تبدلا هائلا في العالم الطبيعي بل سوف يحزن سريعا على فقدان كل العالم الإنساني، بل فقدان وجوده الخاص[3]، وأن التاريخ عنده عملية إبداع مستمر للحاجات البشرية وإشباعها وإعادة إبداعها، وهذا الذي يميِّز البشر عن الحيوانات التي تكون حاجاتها ثابتة وغير متبدِّلة[4]، إذن فهو يعتبر أن الميزة الأساسية وقبل كل شيئ هي الإنتاج الواعي وليست العقلانية أو الحياة السياسية أو قوة الضحك[5]. ويوافقه الرأي تماما هابرماس قائلا:" العمل المنظم اجتماعيا هو الطبيعة الخاصة التي ينتج الناس وفقها وجودهم خلافا للحيوانات، فيمكن تمييز البشر عن الحيوانات بالوعي، بالدين، بكل ما نشاء، يظهر تميزهم عن الحيوانات ما إن يبدأوا في إنتاج وسائل وجودهم، وبإنتاج وسائل وجودهم ينتج البشر بطريقة غير مباشرة حياتهم المادية ذاتها "[6].

1- فرنسوا جورج دريفوس: المرجع السابق، ج3، ص98/ فرناند بروديل: تاريخ وقواعد الحضارات، ترجمة وتعليق سفير.د. حسين شريف، الهيئة العامة المصرية للكتاب، دط، ص15 . عدت من أكثر الموجات الثورية انتشارا في تاريخ أوروبا لاسيما وأنها تزامنت مع أشد الأزمات الإقتصادية في أوروبا 1817- 1852م، كانت تهدف إلى إزالة الهياكل الإقطاعية القديمة، شملت 50 دولة، ساهم فيها العمال، من نتائجها الاجتماعية: إلغاء القنانة في بعض الدول كالنمسا والمجر.

2- فرناند بروديل: المرجع نفسه، ص14.

3- كارل ماركس وفريدريك إنجلز: الإديولوجية الألمانية، ترجمة فؤاد إيوب، دار دمشق، دط ص36.

4-أنطوني جدنز: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ص31.

5- ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية، ص468.

6 - يورغن هابرماس: بعد ماركس، ص66- 67.

ب- المبدأ الاجتماعي: قام الفكر الماركسي كنقيض للمذهب الفردي الرأسمالي الذي انتقده ماركس لأنه يقوم على الطبقية حيث طبقة البورجوازيين أصحاب رؤوس الأموال المسيطرين على وسائل الإنتاج وطبقة البروليتاريا أي العمال الكادحين الذي ن اعتبرهم مستغلين لأنهم لا يحصلون على قيمة عملهم كاملا من فائض القيمة، أي أن أجرهم لا يوازي العمل الذي أنتج السلعة، وربط الأجر بقيمة السلعة عند بيعها بمعنى إشراك العمال في ثمن بيع السلعة وليس أجر إنتاجها فقط، ولذلك ناد بالقضاء على الملكية الفردية لوسائل الإنتاج التي أسماها ديكتاتورية البورجوازية.

استخدم ماركس المادية الجدلية كفلسفة للثورة[1] لاعتقاده بأن الطبقة العاملة تريد إنهاء وجودها كطبقة مستغلة[2]، فيدعو المادي العملي (الشيوعي) إلى تثوير العالم ومهاجمة الأوضاع القائمة[3]، ولذلك يعتبر هابرماس أن المادية التاريخية نظرية للتطور الاجتماعي تمتلك بفضل مكانتها التأملية قيمة إستدلالية بالنسبة للعمل السياسي، وتستطيع إلى حد ما أن تفضي إلى نظرية واستراتيجية للثورة[4].

ج- المبدأ السياسي: يبدو أنه يأتي كمرحلة لما سبقاه، إذ لا يمكن فصل السياسة عنهما، ففكرة الديمقراطية بأنها حكم الشعب بالنسبة إليه تعريف خاطئ ولهذا فإن الديمقراطية المطبقة هي حكم السياسيين المنتجين وبتأثير مجموعاتهم السياسية الضاغطة[5]، ولا يرى غضاضة في تولي البروليتاريا السلطة قبل حل الدولة عندما تتحقق الشيوعية، حيث تستخدم قوتها السياسية في نزع رأس المال من البورجوازية ومركزة أدوات الإنتاج بين يدي الدولة[6].

د- مناهضة الدين (ضد الدين): يقول ماركس عن الدين بأنه سعادة وهمية وعلى الناس التخلي عن أوهامهم، ويبدو وكأنه جاء خلاصا للشعوب من تلك الأوهام إذ يقول:" ألا فالنحرهم إذن من الأوهام والأفكار والعقائد والكائنات الخيالية التي يرزخون تحت نيرها، ألا فالنتمرد على حكم هذه الأفكار "[7].

1- موريس كونفورث: المرجع السابق، ص15.

2- نفسه، ص24.

3- كارل مركس وفريدريك إنجلز: الإديولوجية الألمانية، ص34.

4- يورغن هابرماس: بعد ماركس، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار ، اللاذقية، ط1، 2002م، ص65.

5- جوزيف أ. شومبيتر: الرأسمالية والإشتراكية والديمقراطية، ترجمة حيدر حاج إسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011م، ص45.

6- فريدريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص151/ غيوم سبيرتان – بلان: الفلسفة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة عز الدين الخطابي، مراجعة جورج كتورة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011م، ص280.

7- كارل ماركس وفريدريك إنجلز: الإديولوجية الألمانية، ص19.

ويتهم الدين أحيانا بإلجام الجماهير من خلال تواطؤ رجال الدين مع البورجوازية لبقائهم في السلطة[1] كما أخذ ماركس فكرة فيورباخ أن الإنسان كخا لق لفكرة المطلق ونقلها إلى عالم الإقتصاد المادي وقال أن عمل الفرد لا يتحقق إلا بوصفه جزءا من عمل المجتمع[2]، وكثيرا ما يستعمل منتقدو الهيغلية مصطلحات علمانية، فبدل الجوهر ، والوعي الذاتي، يستعملون: النوع، الإنسان[3].

نقد ماركس لفلسفة هيغل: أخذ ماركس وإنجلز على عاتقهما نقد الفلسفة الهيغلية المثالية، وركزوا في البداية على الدين بسبب ظروف ألمانيا آنذاك ومعاداة هيغل نفسه للأفكار اللاهوتية (فهو يؤمن بالدين وليس باللاهوت)، أما نقدهم لفكره الفلسفي فتعود إلى تفسيره للتاريخ ومسيرة أو تطور الإنسان، فالفكر عنده أساس كل ما هو موجود أو بالأحرى روحه، وأن الأفكار والآراء هي التي تسير التاريخ[4]، فالتاريخ روحا مجردة أو مطلقة، وهكذا يصبح تاريخ البشرية تاريخ للروح المجردة[5] ، أي للفكر أو العقل، في حين قلب ماركس الوضع واهتم بالمادة، واعتبر الحقائق العقلية إنعكاسا للوجود المادي الذي يمثل القوة المحركة لا الروح فقال:" قل لي كيف تعيش أقول لك كيف تفكر "[6]، وعليه فهو يؤمن بأن القوانين التي تسود وتتنبأ بسير المجتمعات هي قوانين إقتصادية مادية، وعلى هذا يرى أن حركة التاريخ لا يحكمها العقل كما يقول هيغل، ولكن التاريخ محكوم بتناقضات القوانين الإقتصادية[7] ، وأن هذه القوانين يدركها العقل الإنساني، واعتبرها حتمية أي أنها تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه، وإذا استطاع إدراك هذه القوانين استطاع أن يقرر صورة مستقبل الجماعة الإنسانية لأنها مرتبطة بالعمل والإنتاج وطريقة توزيع الثروة بين المواطنين. وإذا كان التاريخ عنده هو الإقتصاد والإنتاج، فالذين صنعوا تاريخ العصور الوسطى مثلا هم رجال الدين والملوك والمفكرون، والذين أخرجوا أوروبا إلى عصر النهضة هم أصحاب الآراء والنظريات وليس العمال والمزارعون[8]. كما انصب نقده على الجانب السياسي أي للدولة التي أعتبرها هيغل الكمال المطلق أو الروح، وفيها يجد الفرد حريته وحقيقة وجوده بكونه عضوا فيها، لاسيما وأن الدولة بالنسبة لماركس

1- فريدريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص67.

2 - أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، ص111.

3- كارل ماركس وفريدريك إنجلز: الإديولوجية الألمانية، ص23.

4- حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ، دار الرشاد، القاهرة، ط2، 1421هـ- 2001م، ص91، 119.

5- كارل ماركس وفريدريك إنجلز: العائلة المقدسة أو نقد النقد النقدي، ترجمة صنا عبود، مراجعة فؤاد أيوب، دار دمشق، دط، ص107/ أحمد ظاهر: المرجع نفسه، ص110.

6- أحمد ظاهر: المرجع نفسه، ص110.

7- برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج3، ص429/ نفسه، ص112.

8- حسين مؤنس: المرجع نفسه، ص125، 133.

هي سبب الطبقية وشقاء البروليتاريا، ولذلك اجتهد ماركس وأتباعه في هدمها وهدم الأفكار القائمة حولها.

تأثر بالفكر الماركسي في القرن 20م الكثير من الشخصيات السياسية ولاسيما في آسيا وشرق أوروبا حيث أصبحت أفكارهم نظريات مشتقة من الماركسية، كاللينينية[1] (نسبة إلى لينين 1870- 1924م) والماوية[2] والسارترية، فقد حاول هذا الأخير من خلال كتابه critique de la raison dialectique أو نقد العقل الجدلي عام 1960م إدماج الوجودية[3] في نطاق الماركسية فاعتقد أن لكل عصر فلسفة تعبر عن مصالح الطبقة الصاعدة فيه، ولما كانت الطبقة الصاعدة في القرن العشرين هي الطبقة العمالية وأضحت الفلسفة الماركسية هي المعبرة عن مصالحها اعتبرها سارتر فلسفة القرن العشرين ومن ثم أصبح على الفلسفة الوجودية الدخول في نظامها[4].

1- لم يكن يؤمن بالعفوية الثورية التي تتولد من نضال البروليتاريا ضد أرباب العمل، بل لا بد من إيديولوجية وتنظيم وقادة متسلحين، إلا أن هذه الإيديولوجية ليست معتقدا ثابتا (المرض الطفولي للشيوعية) بل مرتبطة بالتطبيق ومواجهة المستجدات، ولذلك كان يقول: " بدون نظرية ثورية لا حركة ثورية ". أعلن لينين الانقلاب ضد حكومة كيرنسكي وألغى الملكية الكبرى في 1917/10/25م.جان توشار: المرجع السابق، ص591/ فرانسوا جورج دريفوس: المرجع نفسه، ج3، ص378.

2- MAOISM نسبة إلى تعاليم الزعيم الصيني ماوتسي تونغ (1863- 1976م)، تعتبر أفكاره تطويرا للماركسية اللينينية وامتدادا نظريا ومعرفيا لها، دعت إلى ضرورة قيام الحركات الشيوعية بتمردات عسكرية ضد الأنظمة البورجوازية والإمبريالية، اعتبر ماو أن الثورة لا يمكنها أن تنفجر إلا باندفاعة مفاجئة لجماهير الفلاحين التي تهب كالإعصار، برزت الماوية بشكل بطيء في الفترة بين 1927- 1945م ثم تطورت بعد الحرب العالمية الثانية. بيار ميكال: تاريخ العالم المعاصر 1945- 1991م، تعريب يوسف ضومط، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414هـ- 1993م، ص114 وما بعدها.

3- الوجودية هي إحدى المذاهب الفلسفية المعاصرة، وهي بمفهومها العام، إبراز قيمة الوجود الفردي للإنسان، وأن يتحلل من القيم وينطلق لتحقيق رغباته وشهواته أي ممارسة حياته بحرية ودون قيد، وهي في معظمها فلسفة إلحادية، ظهرت نتيجة حالة القلق التي سيطرت على أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى ثم اتسعت مع الحرب العالمية الثانية بسبب الفناء الشامل نتيجة الحرب، من مبادئها: تقديس الحرية التي بدونها يفقد الوجود حقيقته- التخلص من القوالب الضابطة كالدين- حماية رغبة الإنسان في الاستمتاع بالحياة، ومن أشهر روادها الفيلسوف والروائي والكاتب الفرنسي JEAN- PAUL SARTRE (1905- 1980م)، من أهم مؤلفاته L'ETRE ET LE NEANT أو الوجود والعدم. كما تأثر بهذه الفلسفة الشاعر إليا أبو ماضي الذي يقول في قصيدة الطلاسم:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت، كيف أبصرت طريقي ؟
لست أدري
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود ؟
هل أنا حر طليق أم أسير في قيود ؟

عن فلسفة جون بول سارتر،ينظر، حبيب الشاروني: فلسفة جون بول سارتر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003م.

4 - المرجع نفسه، ص89.

المحاضرة 06: النظريات الاجتماعية المعاصرة

*** مقدمة**

*** تعريف**

*** أنماط النظريات**

*** ظهور النظريات الاجتماعية**

1- نظرية التطور- النشوء

2- النظرية الصراعية

3- النظرية البنائية الوظيفية

4- النظرية السكانية

5- النظرية الوضعية

* الفكر العلماني

* نتائج العلمانية

المحاضرة 06: النظريات الاجتماعية المعاصرة

مقدمة: نتج عن عصر التنوير وتطور المعرفة مع القرن 19م مجموعة من النظريات الاجتماعية التي ارتبطت بالتحولات الفكرية والاقتصادية الذي شهدتها أوروبا، ولذلك فإن تلك النظريات تبدو بدورها وثيقة الصلة بالنظريات السياسية والاقتصادية التي تبلورت بعد تراكم فكري خلال مراحل تاريخية كالفكر اليوناني والروماني والإسلامي، ثم فكر عصر النهضة.

تعريف: النظرية الاجتماعية هي مجموعة من العلاقات المتكاملة ذات مستوى معين من الصدق، أو هي مجموعة من القضايا المجردة والمنطقية، تحاول تفسير العلاقة بين الظواهر المدروسة. إن أساس أي نظرية هو ذلك النموذج الذي تقدمه كتفسير للحقيقة الاجتماعية أو الطبيعية، وعادة ما يتكون ذلك النموذج من عنصرين هما مفهوم concept عن الظاهرة وافتراضات assumptions توضح العلاقة السببية،ومتنتهية بنتائج تعبر عن واقع أو حراك اجتماعيين. والنظرية لا تمدنا بالمعرفة فقط ولكنها تهدنا بالأسئلة التي نبحث لها عن إجابة.

أنماط النظريات: كثيرا ما يقع التداخل في تصنيف النظريات من حيث الجوانب والمجالات التي تدرسها، إي نظريات علم الاجتماع، النظريات الفلسفية، النظريات التاريخية وغيرها، وسنركز على الأخيرة لأنها تمثل تحول المجتمع عبر التاريخ أو التطور التاريخي للمجتمع، وقبل التطرق إلى ذلك يمكن أن نذكر النظريات من حيث المنهج والنتائج والأهداف.

1- النظريات المنطقية: تقوم على قوانين المنطق وهي ذات طابع علمي، ويمكن أن نسميها نظرية علمية.

2- النظريات الوضعية: تهدف إلى وصف الواقع أو الظاهرة دون تفسيرهما.

3- النظرية الإديولوجية: لا تكون موضوعية (غير علمية) بل موجهة فكريا لخدمة غرض معين.

4- النظرية الاستقرائية: تنطلق لفهم الواقع من الجزء وصولا إلى الكل.

ظهور النظريات الاجتماعية: ترجع معظم النظريات من الناحية التاريخية إلى الفكر اليوناني الذي بحث في مواضيع فلسفية كالطبيعة وما وراء الطبيعة والخلق، ثم الدين والمجتمع والسياسة أو السلطة، كما تأثر الفكر الاجتماعي الأوروبي بالمسيحية في العصور الوسطى حتى أصبح فكرا لاهوتيا خالصا، لكنه لم يبرز طيلة هذه الفترات كنظريات وإنما مذاهب وأراء فلسفية أو دينية، ولم تقم النظريات الاجتماعية إلا ما بعد عصر النهضة عندما ظهرت العلوم الاجتماعية مع الدراسات الإنسانية

وبخاصة تاريخ الحضارات، ثم برزت أكثر في العصر الحديث مع التطور الإقتصادي والاجتماعي ثم العلمانية كانقلاب ضد الدين والتحرر من الفكر الكنسي الذي ظل مسيطرا حتى فترة متأخرة من العصر الحديث. ويلاحظ أن جل هذه النظريات تقريبا ركزت على الجانب المادي وعلى الحرية والصراعات الاجتماعية ومتنكرة إلى حدٍ ما للقيم والأخلاق، فهي بذلك تستند إلى التفسير المادي للتاريخ محاولة إعادة بناء مجتمع متحرر متأثرا بما بلغه من تطور صناعي، وكأن الإنسان ولاسيما في أوروبا وأمريكا أصبح يشعر بأنه تحول من كائن فان إلى مالك الأرض وصانع مصيرها ومستقبلها[1]. ويعتبر ماركس ودوركايم[2] وفيبر أصولا لمعظم النظريات الاجتماعية المعاصرة.

1- نظرية التطور- النشوء - (evolution): تعني في مفهومها العام ذلك النمو الداخلي الكامن البطيئ الذي ينتهي إلى العلن، وفي مفهومها العلمي ترى هذه النظرية أن كل الكائنات الحية بما فيها النوع البشري تعود إلى أسلاف مشتركة وأن الأنماط المتفرعة عنها ناتجة عن عملية التطور، ويعتبر الإنجليزي CHARLES ROBERT DARWIN (1809- 1882م) صاحب هذه النظرية التي يسميها بالانتقاء أو الاصطفاء الطبيعي التي يرى فيها أن الكائنات مرت بسلسلة من التطورات حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن فيقول:" كل الطبيعة العضوية الحالية والنباتات والحيوانات والإنسان أيضا هي نتاج عملية تطور متواصلة استغرقت ملايين من السنين "[3]، وأن هذا التطور في رأيه يؤدي إلى بقاء الأصلح للحياة على قيد الحياة[4]، وذلك في كتابه " في أصل الأنواع " origin of species الذي صدر سنة 1859 م وتضمن قضية أصل الإنسان التي تعود إلى نوع من القردة[5]، وقد سبق داروين بعض العلماء القائلين بفكرة التطور مثل الفرنسي JEAN BAPTISTE LAMARK (1744- 1829م) إلا أن بعض أنصار هذه النظرية يقولون أن الله خلق الخلية الأولى ثم تركها تنمو وتتطور بنفسها وذلك كنوع من دفع الشبهة عن أنفسهم.

1- أنور عبد الملك: تغيير العالم، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985م، ص84.

2- DAVID EMILE DURKHEIM (1858- 1917م) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، يقوم منهجه على الجمع بين النظرية والتجريب، من أعماله تقسيم العمل الاجتماعي de la division du travail social.

3- فريدريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص112/ موسوعة لالاند، ص378، 381.

4- مجموعة من المؤلفين: خلق لا تطور، تعريب إحسان حقي، دار النفائس، دط، ص79.

5- ترى هذه النظرية أن الإنسان إرتقى من قرود الأنثروبويد ANTHROPOIDS إلى أدنى الكائنات الإنسانية. برتراند راسل: السلطة والفرد، تعريب شاهر الحمود، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1961م، ص25. يقول البعض أن داروين لم يورد ضمن نظريته أن الإنسان يرجع في أصله إلى القرد، وأن الذين زعموا ذلك هم غلاة الماديين وألصقوا هذا القول بداروين لشهرته. أنور الجندي: مشكلات العالم المعاصر في ضوء الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، السنة الرابعة، ع51، 1392هـ- 1972م، ص51. لكن ألا يمكن أن يكون هؤلاء سوى مدافعين عن داروين؟

أحدث صدور كتاب داروين وما تضمنه من أفكار ولاسيما قضية أصل الإنسان جدلا ورفضا لكثير من علماء الأحياء وعلماء الدين والاجتماع لأنها تخالف ما جاء في الكتب السماوية وبخاصة القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مباشرة ولم يخلقه بالواسطة أو بالتطور، وقد وردت في ذلك آيات عديدة عن خلق الإنسان في أحسن صورة وأحسن تقويم[1]. كما رد بعض العلماء على هذه النظرية فقد أحصى أحد العلماء الإنجليز ثمانمائة عبارة شلفي أقوال داروين، وقال هابرماس أن الجد المشترك للإنسان وللشامبنزي يظل أمرا إفتراضيا[2]. وإذا كان إنسان ما قبل التاريخ قد ملئ الحلقة الوسطى بين الإنسان الأول والإنسان الحالي العاقل، فلماذا عاشت الحيوانات الدنيا مثل القردة وانقرض هو رغم أنه أرقي منها[3].

نقل خلفاء داروين وأنصاره من أصحاب هذه النظرية فكرة التطور من الدراسات البيولوجية إلى مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية ومجال العقائد تماشيا مع الاتجاه المادي الخالص[4] الذي جسدته النظريات الاقتصادية المعاصرة كالاشتراكية والرأسمالية.

2- النظرية الصراعية: يحدث الصراع الاجتماعي نتيجة لغياب الانسجام والتوازن والنظام والإجماع في محيط اجتماعي معين، ويحدث أيضا لوجود حالات من عدم الرضا حول الموارد المادية كادخل والملكية[5] .ويجسد الفكر الاشتراكي الشيوعي الماركسي هذه النظرية التي تنظر إلى المجتمع كنسق (نظام) من جماعات متصارعة مثل الكفاح من أجل الحصول على منابع الحاجات المادية الأساسية، كان هدف ماركس تحليل العلاقة بين البناء التحتي (الاقتصاد) والأبنية العليا (صفوة سائدة) وهي نظم المجتمع، واعتبر ماركس أن تاريخ البشرية هو تاريخ للصراع بين الطبقة المستغلة والطبقة المستغلة[6]. والحقيقة أن الصراع لم يكن طبقيا فقط، بل صراع أفراد أيضا، يقول هوبز إذا رغب شخصان بشيء واحد لا يستطيع الاستمتاع به كلاهما فإنهما يصبحان عدوين يحاول كل منهما تدمير وإخضاع الآخر.

1- هناك آيات قرآنية كثيرة تتكلم عن تكريم الإنسان نذكر منها: سورة الحجر: الآية 26/ سورة النور: الآية 45/ سورة يس: الآية 36/ سورة التغابن: الآية 3/ سورة التين: الآية 4/ أما التوراة فقد جاء في سفر التكوين، وقال الله:" لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وكل مايدب على الأرض ". 1: 26، ثم يضيف:" فسمى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية، ولكنه لم يجد بينها مثيلا له يعينه ". 2: 20. فلو كان القرد أصل الإنسان لما قال: لم يجد بينها مثيلا له.

2- يورغن هابرماس: بعد ماركس، ص68.

3- خلق لا تطور، ص92.

4- أنور الجندي: المرجع السابق، ص41.

5- أكرم حجازي: الموجز في النظريات الاجتماعية القديمة والمعاصرة، دط، ص47.

6- إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هاربر ماس، ترجمة محمد حسين غلوم، عالم المعرفة، الكويت، 1999م، ص85- 86.

ظهرت النظرية الصراعية معأفول سيادة النظرية الوظيفية البنائية، ومن أعلام هذه النظرية رايت ميلز C.WRIGHT MILLES (1916- 1962م) SOCIOLOGICAL IMAGINATION أو الخيال الاجتماعي.

3- النظرية البنائية الوظيفية structualisme : ترجع جذور هذه النظرية إلى الفكر اليوناني المنطوي على رؤية الأحداث الاجتماعية بأنها مكونة من أجزاء مترابطة مفصليا ووظيفيا، أما في العصر المعاصر فتعود إلى أوائل القرن العشرين عندما نشر كتاب" محاضرات في اللسانيات " للسويسري فرديناند دي سوسير FERDINAND DE SAUSSURE سنة 1916 م في باريس والذي يعد أول مصدر للبنيوية في الثقافة الغربية، ثم ذاع صيتها وصارت منهجا، وقد اشتهرت بفرنسا في الستينيات على يد كلود ليفي شتراوس، لكنها لم تدم طويلا حيث تلاشت أواخر سبعينيات وأوائل ثمانينيات القرن العشرين.

البنيوية في مفهومها العام رؤية اجتماعية ترمي إلى دراسة وتحليل بنى المجتمع من ناحية والوظائف التي يقوم بها هذه البنى من ناحية أخرى، فهي تنظر إلى العقول واللغات والآداب والأساطير كظواهر بوصفها نظاما تاما أو كلا مترابطا أي كونها بنية في شكل علاقات ثابتة ضمن نسق واحد، فهي تهدف إلى معرفة كيف يعمل المجتمع وكيف تعمل الأسرة وما هي العلاقة بين الاسرة والمجتمع، يحاول علماء الاجتماع من خلال هذه النظرية الإجابة عن ثلاثة أسئلة: ما هي وظائف الأسرة؟ ما هي وظيفة الأفراد لخدمة الأسرة؟ ما هي الاحتياجات التي تحاول الأسرة توفيرها لأفرادها[1].

أما من الناحية المنهجية أو العلمية فجاءت كرد فعل على وضع فكري كان يرى تشظي المعرفة وتفرعها إلى تخصصات دقيقة ومنعزلة، ولذلك دعت إلى النظام الكلي المتكامل والمتناسق الذي يوحد ويربط العلوم ببعضها البعض بعيدا عن التجزئة.

جاءت النظرية البنائية كرد على تحديات الماركسية وتفسيرا وفهما لمصاعب الرأسمالية دون أن تدينها[2]، ومن أشهر روادها تالكوت بارسونز TALCOTT PERSONS (1902- 1979م) الذي يرى الحياة الاجتماعية من خلال المعايير وهي القواعد المقبولة اجتماعيا التي يستخدمها البشر في تقرير أفعالهم، والقيم وهي ما يعتقده البشر عما يجب أن تكون عليه الحياة والتي لها تأثير في تحديد أفعال البشر.

1- أبو يعرب المرزوقي وطيب تيزيني: آفاق فلسفة عربية معاصرة، دار الفكر، بيروت- دمشق، ط1، 1422هـ- 2001م، ص298/ أكرم حجازي: المرجع السابق، ص38- 39/ محمد بن عبد الله بن صالح بالعفير:" البنيوية – النشأة والمفهوم- عرض ونقد " مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية AUST ، صنعاء، ع15، مج16، جويلية - سبتمبر 2017م، صص227- 262.

2- إيان كريب: المرجع السابق، ص61.

4- النظرية السكانية: شكل النمو السكاني في أوروبا ولاسيما بعد طاعون القرن الرابع عشر ميلادي مجالا للنقاش بين الاقتصاديين ورجال الدين والكتاب فقد أكد فولتير على سعادة الشعب أكثر من تأكيده على أهميته العددية[1]، كما عارض بعض الإنجليز النمو السكاني خشية الهوة بين السكان والموارد، ومنهم توماس روبارتز مالتوس (1766- 1834م) قال أن السكان يتزايدون بمتتالية هندسية كل 25 سنة، ولذلك كان يرى تحديد النسل عن طريق التعفف المنظم وتأخير سن الزواج.

5- النظرية الوضعية: تقوم على استبعاد أنماط الفكر والتحليل اللاهوتي والميتافيزيقي (التجريدي) كرد فعل على المراحل الأولى التي لجأ فيها الإنسان في تحليل الظواهر للقوى الدينية أو قوى الطبيعة، ولذلك فقد استخدمت العقل ورفعت مكانة الإنسان، ونقلته من المرحلة اللاهوتية الإقطاعية إلى المرحلة الصناعية العلمية، وتمثل في أحد أوجهها الفكر الطوباوي باعتبارها تحلم بخلق مجتمع مثالي، مجتمع العقل والعدالة الخالي من الصراعات والاستغلال.

يعد كلود سان سيمون CLAUDE DE SAINT SIMON (1760- 1825م) مؤسس الإشتراكية الفرنسية من أشهر روادها، وقد عالج ثلاثة مواضيع هي أساس فكره:

أ- الدين: يرى أن الدين ليس حالة ثابتة بقدر ما هو حالة تطورية، وبالتالي فالأديان ظواهر اجتماعية إنسانية غير مقدسة يمكن تحليلها تحليلا علميا كبقية الظواهر.

ب- المجتمع: أولى اهتماما بالفئة الفقيرة ودعا إلى تحقيق المواطنة والمساواة والعدالة السياسية.

ج- الإقتصاد (الإنتاج): ركز عليه كثيرا حتى قال سنة 1816م: السياسة هي علم الإنتاج[2] فشجع على العمل والإنتاج وبخاصة الصناعة التي اعتبرها شرط كل التحولات الفكرية والاجتماعية، ويمكن فهم ذلك من مقولته الشهيرة: لو حدثت فاجعة ذهبت بأكثر الشخصيات الكبرى في الأسرة المالكة والوزراء وكبار القضاة ... فإن الشعب الفرنسي سيبكيهم، لكن هذه الفاجعة لا تبدل شيئا ذا أثر عميق، أما لو ذهبت هذه الفاجعة برؤوس العلماء والصناعيين وأرباب المصارف والبنوك، فإن خسارة المجتمع فيهم كبيرة جدا لأن مثل هؤلاء لا يمكن تعويضهم بسهولة[3].

1- جان بيرنجيه وآخرون: المرجع السابق، ج3، ص539.

2- فريدريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص88- 89.

3- أكرم حجازي: المرجع السابق، ص11.

الفكر العلماني: يعد من النظريات والأفكار التي واكبت التطور الصناعي والتكنولوجي مع النصف الثاني من القرن الـ 19م، يبدو في ظاهر الكلمة مصطلح العلم، لكن حقيقته ضد الدين أو اللادين وهي في الفرنسية laique وفي الإنجليزية secularism أو secularity التي تعني الدنيا أو العالم في مقابل العالم الآخر الغيبي الديني، أما من الناحية السياسية فتعني إبعاد الدين والأخلاق عن الدولة وهي مرادفة لكلمة unreligious التي تعني لا ديني أو غير عقيدي[1]، أي دنيوي، بينما تعني عند المفكرين المسلمين الإلحاد ATHEISME وذلك إنطلاقا من الفكر الذي أبعد الكنيسة من أمور الحياة والتفكير العلمي، لذلك لا يجب أن ينطبق أويطبق على المجتمع الإسلامي لأن الإسلام لم يكن سلطة لاهوتية مقدسة كما هو الحال بالنسبة لرجال الدين المسيحيين، فقد كان فقهاء المسلمين يشتغلون في مهن غير دينية كالتعليم والتجارة والقضاء والأعمال الحرفية ويشتغلون بالفلسفة والطب وغير ذلك[2].

تعود فكرة العلمانية إلى عصر النهضة كنتيجة للواقع التاريخي الذي عاشته أوروبا في العصور الوسطى، فجاءت كتحرير الإنسان من الظلم والاضطهاد وكمعاداة للإكليروس، ليس لسلطتهم الدينية فقط، بل لتحالفهم مع النظام الإقطاعي، ولذلك قامت بعض الحركات المناوئة مثل catharisme أو الكاتارية كوسيلة للتحرر من الإقطاعية والتي اعتبرتها الكنيسة كنوع من الهرطقة[3] . أستخدم مصطلح العلمانية لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عاما في أوروبا (1618- 1648م) سنة 1648م عند بداية ظهور الدول القومية الحديثة.

انطلقت العلمانية في البداية كحركة ولأسباب سياسية من المدن ثم سرعان ما انتشرت في الأرياف وهي بمثابة المرحلة الأولى للعلمانية، ومن أبرز روادها في القرن السادس عشر ميكيافللي الذي كان ضد حكومة الكهنة، ولأن مبادئ الدين والأخلاق لا يجب أن تقف عائقا أمام كيان الدولة، أما FRANCISE BACON (1561- 1626م) فكان يدعو إلى رفع الوصاية عن الإنسان والثقة في الحواس وفي الطبيعة وبقدرة العقل فقط[4]، أما سبينوزا (1632- 1677م) فيقول في كتابه بحث في السياسة

1- عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ- 2002م، مج1، 17، 53، 219/ محمد علي البار: العلمانية جذورها وأصولها، دار القلم، دمشق، ط1، 1429هـ- 2008م، ص27/ علي محمد حريشان: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص59.

2- رؤوف عباس حامد: تطور الفكر العربي الحديث، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دط، ص33.

3- جان توشار: المرجع السابق، ص153- 154.

4- برتراند راسل: المرجع السابق، ج3، ص83- 84/ يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م، ص12/ جان توشار: المرجع نفسه، ص254/ إميل براهييه: المرجع السابق، ج4، ص36.

الدينية tractatus theologico politicus أن الدولة ذات أساس طبيعي عقلاني وليس ديني[1] وكان يدعو إلى إدخال الفكر الحر في المجال الديني. وإذا كانت العلمانية في البداية تدعو إلى فصل الدين عن الدولة فقط، فإنها أصبحت في القرن الـ 19م وما بعده مادية إذ ألغت تطبيق الدين كلية متأثرة بما حققته شعوب أوروبا من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

نتائج العلمانية:

***** تراجع مكانة الدين في المجتمعات الصناعة المتقدمة تحت التأثير الهائل للاكتشافات العلمية وتطبيقاتها التي حاصرت الدين وفلسفة ما وراء الطبيعة[2].

* استعمال الفكر العلماني كوسيلة للسيطرة على الدول الضعيفة ومحاربة الإسلام من خلال نشر هذا الفكر في الأوساط الإسلامية عبر كل الوسائل والطرق.

* ظهور أفكار ونظريات جديدة في الجانبين الاجتماعي والديني التي تدعو إلى الإلحاد l'athéisme والتحرر من القيم الأخلاقية والدينية.

1- جان توشار: نفسه، ص287- 288.

2- أنور عبد الملك: المرجع السابق، ص97.

المحاضرة 07: تاريخ الفكر السياسي

*** الفكر السياسي في عصر النهضة**

*** عوامل تطور الفكر السياسي:**

1- الحروب الصليبية

2- ظهور الجامعات وحركة الإنسانيين

3- الصراع الديني والسياسي

4- إزدهار النشاط السياسي والفلسفي

5- إختراع الطباعة

*** النظريات السياسية في عصر النهضة:**

أ- النظرية الواقعية

ب- النظرية الدينية

ج- نظرية القوة

د- النظرية التعاقدية

* نتائج تطولر الفكر السياسي

المحاضرة 07: تاريخ الفكر السياسي

الفكر السياسي في عصر النهضة

يعد الفكر السياسي لعصر النهضة نتاج الظروف التي عاشتها أوروبا في القرون الوسطى والصراع بين الكنيسة والنظام الملكي، وما تلاه من تطورات اجتماعية وثقافية تبلورت في شكل نظريات وآراء حول نظام الحكم ودور السلطة وعلاقتها بالمجتمع، عرفت على إثرها أوروبا ومنذ القرن 13م صراعا بين الملوك والكنيسة[1]، وجدلا دينيا بين أنصار السلطة الروحية من باباوات ومصلحين ضد أنصار السلطة الزمنية من فلاسفة وسياسيين.

عوامل تطور الفكر السياسي: تأثر الفكر السياسي في أوروبا بعدة عوامل سياسية وثقافية ودينية وتطورات اجتماعية داخلية وخارجية، وقد مثلت كلا من فرنسا وإنجلترا وبدرجة أقل ألمانيا وإيطاليا نماذجا للفكر السياسي بحيث أصبحت هذه الدول مراكزا لظهور النظريات السياسية بفعل نشاط الجامعات والفلاسفة.

1- الحروب الصليبية: إذا كانت الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا ضد المسلمين ولاسيما في المشرق منذ أواخر القرن الـ 11 م تبدو بعيدة زمنيا عن الفترة المدروسة إلا أنها شكلت بداية فكر سياسي اتسم بالطابع الديني الذي أصبح من المبادئ التي قامت عليها سياسة أوروبا الخارجية، وهو ما نلمسه مثلا من آراء بطرس دي بوا (1250- 1320م) الذي تأثر بطرد الصليبيين من بلاد الشام سنة 1291م ورأى أن أوروبا تحتاج إلى تنظيم سياسي وعسكري لاسترجاع الأراضي المقدسة، فألف كتابه استعادة الأراضي المقدسة recovery of the holy land، كما دعا إلى تعيين إمبراطور على العالم المسيحي وبأن تكون أموال الكنيسة في خدمة الدولة، إضافة إلى مناداته بالحقوق السياسية للنساء مثل الرجال[2]، وقد تجسدت أفكاره لاحقا بشن الدول الأوروبية حملات صليبية ضد العثمانيين باعتبارهم ممثلي

1- كانت الفكرة الشائعة في أوروبا هي حق الملوك الإلهي، فالملك يستمد سلطته من الله ولا يجب أن ينازعه أو يحاسبه أحد، أي أن سلطته مطلقة، بينما يرى رجال الدين بوجوب خضوع الملوك للكنيسة، وظل الصراع قائما بين البابوية أو السلطة الدينية ضد الملكية أو السلطة الزمنية حتى أواخر عصر النهضة، ومن مظاهر ذلك الصراع نقل ملك فرنسا فليب الرابع (1285- 1314م) لمقر البابوية من روما إلى مدينة أفينيون AVIGNON وتعيينه للبابا كليمونت الخامس (BERTRAND (CLIMENT 1305- 1314م) وتعرف هذه الحادثة بالأسر البابلي BABYLONIC COPTIVITY والتي دامت قرابة ثمانين سنة (1309- 1377م). ميلاد أ. المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث 1453- 1848م، منشورات قاريونس، بنغازي، مكتبة الإسكندرية، ط1، 1996م، ص102.

2- محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص266- 267.

الخلافة الإسلامية أين انهزم الجيش العثماني في معركة موهاك[1] سنة 1687م في عهد السلطان محمد الرابع التي عزل على إثرها.

2- ظهور الجامعات وحركة الإنسانيين: انتقل التعليم من تعليم لاهوتي محض ليشمل مجالات أخرى ولاسيما العلوم الإنسانية التي عالجت قضايا المجتمع كالحرية والسلطة، فتحرر التاريخ من المواضيع الدينية وأصبح أكثر موضوعية ونشأت المدارس النقدية، ومن أشهر زعماء حركة الإنسانيين: بترارك في إيطاليا (PETRARCH 1304- 1374م) الذي نادى بالوحدة السياسية لإيطاليا وهو ما يعتبر بداية لظهور القوميات، وفي إنجلترا توماس مور THOMAS MORRE[2]، أما في فرنسا فقد برز رجل القانون مونتيسكيو (1689- 1755م) الذي قال عن ضرورة القانون:" وأمكن الإنسان المفطور على العيش في المجتمع أن ينسى الآخرين فيه، فوده المشترعون إلى واجباته بالقوانين السياسية والمدنية "[3].

3- الصراع الديني والسياسي: شهدت أوروبا صراعات وحروب دينية[4] في إنجلترا (1509- 1603م) وفرنسا وحركات إصلاح ديني كاللوثرية (1483- 1546م) في ألمانيا والكالفينية (1509- 1564م) بفرنسا، أحدثت جدالا فكريا وحروبا دامية ورغم ذلك فقد ساهمت في بلورة الفكر السياسي ولاسيما علاقة الدين بالسلطة، أما الوجه الثاني للصراع فهو ذو طابع سياسي يتمثل في سعي بعض الدول إلى التوسع مثل فرنسا التي خاضت حربا (1494- 1559م) ضد إيطاليا.

4- ازدهار النشاط السياسي والفلسفي: تعتبر الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر الفترة التي ازدهر فيها نشاط الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين والذي أنتج نظريات سياسية أصبحت كمبادئ للحكم والتشريع.

1- جون بيرانجييه: المرجع السابق، ج2، ص338، 344/ شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، جمع أصوله وحققه وعلق عليه حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1422هـ- 2001م، ص234. وفي نفس المكان انتصر الجيش العثماني على الجيش المجري في أوت 1526م على عهد السلطان سليمان القانوني.

2- توماس مور THOMAS MORRE (1478- 1535م)هو مصلح سياسي واجتماعي ومشرع إنجليزي انضم إلى جماعة الإنسانيين، أصبح نائبا في مجلس العموم وعمل مستشارا للملك هنري الثامن سنة 1518م كان متعلقا بالمسيحية التقليدية ومعارضا للوثرية، من مؤلفاته utopia أي عالم الكمال أو المدينة المثالية. جان توشار: المرجع السابق، ص210/ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ أوروبا من عصر النهضة إلى الحرب الباردة، ص82.

3- مونتيسكيو: المصدر السابق، ج1، ص14.

4- كانت هذه الحروب إما بسبب فساد الكنيسة وظهور حركات إصلاحية انقسم الموقف إزاءها بين مؤيد ومعارض، أو بسبب سياسي وهو رغبة بعض الدول كإنجلترا وفرنسا الاستقلال عن الكنيسة في روما، ومن مظاهر ذلك الصراع الانشقاق الأكبر الذي دام من 1378م أي بعد نقل مقر البابوية من روما إلى أفينيون وانتهى بتسوية وورمس WORMS سنة 1418م. جان توشار: المرجع نفسه، ص251.

5- اختراع الطباعة: أدى اختراع الطباعة وانتشار المطابع التي بلغت مع نهاية القرن الـ 15م حوالي 40 مطبعة إلى ازدهار حركة التأليف وطبع الكتب التي انتشرت من خلالها الأفكار السياسية والاجتماعية.

النظريات السياسية في عصر النهضة:

أ- النظرية الواقعية: اعتمدت على الواقع التاريخي ومن زعمائها نيكولا مكيافللي (1469- 1527م) الذي بنا نظريته انطلاقا من دراسته لتاريخ الفرس واليونان وإمبراطورية الإسكندر المقدوني والإمبراطورية الرومانية وما وصلت إليه إيطاليا من التمزق السياسي والاحتلال الأجنبي، ولذلك صاغ مبدأه الغاية تبرر الوسيلة في رسالته الأمير التي كتبها للورنزو، كان من أشد المعارضين للسلطة البابوية لأنها في نظره أضعفت الهمم حين لم يقدس إلا المتواضعين والمنصرفين إلى التأمل بدل الانصراف إلى الحياة النشيطة[1] ، كما كان يرى أن الدين والأخلاق لا يجب أن تقف عائقا في المحافظة على كيان الدولة، ولذلك دعا إلى فصل الدين عن الدولة، ورغم تعصبه إلا أنه كان يفضل النظام الجمهوري على الملكي.

ب- النظرية الدينية: ترى أن مصدر السلطة هو الله[2]، فالحكام يستمدون سلطتهم من الله كما يستمد القمر ضوءه من الشمس وليس من الأفراد، وبالتالي فإن الحكام ينفذون إرادة الله كما تصورها البابا جلاسيوس الأول (462- 496م) في نظرية السيفين[3]، ثم من بعده البابا بونيفاس الثامن VIII في بيانه سنة 1302م ولذلك كان لويس الرابع عشر (1638- 1715م) ملك فرنسا يعتقد أن الملوك يختارهم الله وعليه فليس لأحد أن يحاسبهم، وكان يقول: " الدولة هي أنا "[4]، إلا أن هذه النظرة المحضة للدين غير تغيرت عند معظم الفلاسفة، فنجد هيغل مثلا رغم تدينه يقول: يجب ألا يكون الدين أخرويا، بل دنيويا إنسانيا، وعليه أن يمجد الفرح والحياة الأرضية لا الألم والعذاب في الجحيم.

1- جان توشار: المرجع السابق، ص204/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق،ص312. ومن الذين ساروا في هذا الاتجاه الفيلسوف سبينوزا (1632- 1677م) الذي فرق بين الدين والفلسفة وبين الإيمان والعقل وقال: " إن غاية الفلسفة هي الحقيقة فقط أما غاية الإيمان فهي الطاعة والتقوى فقط ". جان توشار: المرجع نفسه، ص287- 288/ شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: المرجع السابق، ص35.

2- جان جاك روسو : المصدر السابق، ص18/ ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية، ص54- 55.

3- تتلخص في أن الله ملك الدين والدنيا وبيده سيفان، أحدهما يمثل السيادة على الأرواح والآخر يمثل السيادة على الأجساد، وبعد انتشار المسيحية على يدي القديس بطرس سلم هذا الأخير سيف الأجساد للإمبراطور وسيف الأرواح للبابا، ولما كانت الروح أسمى من الجسد فإن مالك سيف الأرواح وهو البابا تكون له السيادة على مالك سيف الأجساد وهو الإمبراطور. محمود سعيد عمران: المرجع نفسه، ص180/ جان توشار: المرجع نفسه، ص156- 157.

4- ماريا لويزا برنيري: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ص185/ جون بيرانجييه: موسوعة تاريخ أوروبا العام، ج2، ص639. يشكك جان توشار في نسبة هذه المقولة إلى لويس 14، ص274.

ج- نظرية القوة: أي حق القوي في السيطرة والحكم، وفي نظرية مكيافللي (1469- 1519م)، يمكن أن نلمس شيئا من ذلك[1] ، بل يعد مؤسس هذا الاتجاه من الفكر السياسي أواخر القرن 15م في الدعوة إلى القوة من أجل تأسيس الدولة والمحافظة على كيانها وقوتها فيرى أن الأسس الرئيسية لكل دولة هي القوانين الجيدة والسلاح الجيد، ويؤكد على أن من بين عيوب عدم التسلح الجيد هو أن الفرد يصبح بلا قيمة[2]. وإذ يقر روسو بحق الأقوى فإنه يرى بأن الإذعان للقوي عمل ضرورة لا عمل إرادة[3].

د- النظرية التعاقدية: أي اتفاق الجماعة على نقل جماعتهم من القوانين الفطرية إلى النظام أي الدولة ومن أصحاب هذه النظرية توماس هوبز وجون لوك وجان جاك روسو، وتعد هذه النظرية بداية التوجه نحو المجتمع المدني السياسي أو دولة الحرية والقانون.

نتائج تطور الفكر السياسي: لا شك أن النظريات السياسية التي ظهرت خلال هذه الفترة في أوروبا قد انعكست على الواقع السياسي في المنطقة وأدت إلى نتائج وفكر سياسي أصبح معمّا ويعمل به الوقت الراهن، نذكر منها:

- ففي النظام الملكي تم تقييد سلطة الملوك وظهور التمثيل النيابي ولاسيما في بريطانيا مع صدور العهد الأعظم[4] the magna carta سنة 1215- 1216م في عهد الملك يوحنا JOHN، والذي لايزال حتى الآن من بين المواثيق التي يعتمد عليها في التشريع .

- كانت الفكرة السائدة في أوروبا طيلة العصور الوسطى وحتى بداية عصر النهضة هي فكرة الدولة الدينية العالمية ولذلك خضعت كثير من مناطق أوروبا إلى الإمبراطورية الرومانية المقدسة[5]، وبتطور الفكر السياسي ظهرت فكرة القومية وقيام الدول الوطنية، ولم يصبح الولاء للملك كشخص بل للدولة والحكومة، فتعززت حرية الفرد وشعر بمكانته في الدولة، وهو ما جعله يتفاعل مع الأحداث

1- جان توشار: المرجع السابق، ص202/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص313.

2- ميكيافللي: كتاب الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2004م، ص66، 77.

3- العقد الاجتماعي، ص17.

4- انقسم المجلس الأعظم في القرن الرابع عشر إلى مجلسين: 1- مجلس يمثل الأشراف ورجال الدين ويعرف بمجلس اللوردات، 2- مجلس العموم ويمثل المدن والمقاطعات، ثم تحولا معا إلى برلمان. شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم: المرجع السابق، ص68.

5- ضمت الإمبراطورية الرومانية المقدسة إسبانيا والأراضي المنخفضة (بلجيكا وهولندا) وصقلية وأجزاء من إيطاليا وأجزاء من ألمانيا، كان أول أباطرتها شارل الأول الملقب بشارل الخامس CHARLEQUINT سنة 1519م وهو حفيد فرديناند وإيزابيلا، وفي 1581م أعلنت 7 ولايات من شمال الأراضي المنخفضة استقلالها عن إسبانيا والتي كونت دولة هولندا واعترفت بها إسبانيا في معاهدة وستفاليا سنة 1648 م، ثم أصبحت تعرف بالأمبراطورية النمساوية ابتداء من 1806م. عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص301.

السياسية لبلده، بل أصبح مؤثرا فيها سواء من خلال آرائه في البرلمان أو من خلال الضغط والنشاط الحركي، ومن ذلك قيام بعض الشعوب بثورة ضد حكم الأجنبي مثل ثورة البولنديين للحكم الروسي[1] في 24- 03- 1794م.

- تكريس فكرة المواطنة لدى الفرد الأوروبي، وفي هذا الإطار يقول روسو عن علاقة المواطن بالدولة: " وإذا ما عرضوا حياتهم يوما للدفاع عن كيان الدولة فإنهم يؤدون ما أخذوها منها "[2]، وإذا كانت علاقة المواطن بدولته قد توطدت بهذا الشكل، فإن هذه الأخيرة قد حققت له المواطنة الحقة بالحرية وكفالة الحياة الكريمة من توظيف وتأمين[3]، كما اتحدت وحدة العقيدة والوحدة القومية في كثير من الدول مثل الو.م.أ، وروسيا اللتان أكسبتهما قوة جديدة[4]، وعليه ففكرة الدولة قد تحققت في القرن 19م عندما قال هيغل بأن الدولة تشكل غاية نهائية للفرد الذي يجد فيها حقيقة وجوده وواجبه ورضاه عندما يتجاوز أنانيته في إخلاصه للدولة[5].

- تطور الديمقراطية الحديثة كنظام للحكم ولاسيما بعد الثورة الفرنسية حيث أصبح الشعب هو صاحب السلطة والقانون هو السيد، وفي ذلك يقول جان جاك روسو: " إني أسمي جمهورية كل دولة تحكمها قوانين ... وكل حكومة شرعية هي حكومة جمهورية "[6]، ولذلك يرى البعض أن المواطنة الحقة هي وليدة النظام الديمقراطي الذي يوفر تكريس القانون[7].

إن الأفكار السياسية التي طرحت ونوقشت خلال عصر النهضة تعد الزبدة التي تشكلت منها أنظمة الحكم والمجتمع في أوروبا ما بعد النهضة، ولاسيما قضايا الحرية والديمقراطية والحق والواجب.

1- عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، الهيئة المصرية للكتاب، ص29، ص38.

2- العقد الاجتماعي، ص53.

3- برتراند راسل: السلطة والفرد، صص10- 111.

4- برتراند راسل: نفسه، ص29. إذا كان المقصود بروسيا الإتحاد السوفياتي سابقا فالحقيقة أن وحدته لم تكن وحدة عقيدة أو قومية، بل كان تحت القوة والإحتلال والإرهاب..

5- ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية، ج2، ص374.

6- العقد الاجتماعي، ص60. يقسم روسو القوانين إلى أربعة أقسام: قوانين جنائية، القوانين السياسية أو الأساسية، القوانين المدنية، قانون الأخلاق والعادات الذي يعتبره أكثر أهمية، فهو لا يحفر على الرخام ولا على صفحات القلوب ولكن على قلوب المواطنين. ص81. يقول غروسيوس GROSIUS (1583- 1645م) أن الناس ميالون بطبيعتهم نحو المجتمع المنظم الهادئ وأن القانون هو حصيلة الغريزة الاجتماعية. جان توشار: المرجع السابق، ص253.

7- بن شريط عبد الرحمن: الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة، كنوز الحكمة، الجزائر، 2011م- 1432هـ، ص16.

المحاضرة 08: نظرية الدولة عند إبن خلدون

*** تمهيد**

*** نشأة الدولة**

*** شروط قيام الدولة:**

1- الترف

2- العصبية

3- التوحش

4- الدعوة الدينية

*** مصدر السلطة وحدود الدولة**

*** أطوار الدولة**

*** عمر الدولة**

*** خطط الدولة ووظائفها**

*** شارات الملك والسلطان**

*** هرم الدولة وسقوطها**

*** خاتمة**

المحاضرة 08: نظرية الدولة عند ابن خلدون

تمهيد: تعد الدولة من المواضيع التي تطرق إليها ابن خلدون في مقدمته عند دراسته للعمران البشري وذلك في الباب الثالث " **في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الأحوال**" الذي يضم ثلاثة وخمسين فصلا استغرق ثلث المقدمة تقريبا من الصفحة 122 إلى الصفحة 269 . تكلم فيها نشأة الدولة وكيف تنتقل من البداوة إلى الحضارة وتأسيس الملك ودور العصبية والدين في ذلك، ثم عمر الدولة وكيف تؤول إلى الهرم والزوال.

نشأة الدولة: يربط ابن خلدون قيام الدول بالتطور الاجتماعي، أي انتقال المجتمع من حالة البداوة إلى حالة التحضر حيث يصبح أفراد المجتمع في حاجة إلى وازع ينظم حياتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم وهو السلطان الذي تكون له عليهم الغلبة واليد القاهرة[1]، وهي من الأمور التي فيها مصالح دينية ودنيوية للبشر.

شروط قيام الدولة: لما كانت غاية العمران هي الدولة[2]، جعلها ابن خلدون المحور الأساسي لفلسفته وليست العصبية والصراع، وإلا لما كانت سببا للعمران[3]، ولذلك استغرقت ثلث المقدمة تقريبا فخصص لها الباب الثالث بعنوان:" في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية "، كما تناولها في الباب الرابع:" في البلدان والأمصار وسائر العمران ".

1- الترف: لما كانت الدولة نتيجة لانتقال المجتمع من حالة البداوة إلى الحضارة، فإن ذلك لا يتم إلا بعد أن يصل الناس إلى حالة من الرفه يصيرون معها إلى الدعة والسكون، وتأسيس الأمصار والمدن لأنهم حصلوا على الضروري فانتقلوا إلى الكمالي وهو الترف والعمران[4]، ومنها إلى الدولة وهي الغاية[5].

2- العصبية: ركز ابن خلدون كثيرا على دور العصبية في تأسيس الدول[6]، وقد يكون مرد ذلك إلى طبيعة المجتمع آنذاك ولاسيما المجتمع العربي القائم على القبلية التي كانت كنظام اجتماعي وسياسي

1- المقدمة، ص34.

2- نفسه، ص27، 122، 270.

3- محمد عابد الجابري: المرجع السابق، ص120.

4- نفسه، ص97- 98.

5- نفسه، ص96، 132.

6- أشار إلى ذلك الحسن الوزان قائلا: " لا يوجد من بين كافة ملوك إفريقيا من ولي الملك أو الإمارة بانتخاب من الشعب ". وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م، ج1، ص285.

ومحور العلاقات بين الأفراد، فالعصبية تـ ـدعو الولاء والحلف لذوي النسب ولاسيما النسب الخاص أو القريب، وبالعصبية تقع الغلبة وتتم الرياسة والدولة[1] بواسطة الفرع الأقوى إلى الأقوى[2]، وإذا حصل غلب العصبية الأقوى للعصبية الأضعف استتبعتها والتحمت بها وزادتها قوة إلى قوتها[3]، وقد تقوم بعض الدول من غير عصبية ولكن بمظاهرة قبائل أخرى ذات عصبية من غير عصبيتهم كما حدث للأدارسة مع أوربة والعبيديين مع كتامة وصنهاجة عندما أسسوا دولتيهما ببلاد المغرب بمساندة تلك القبائل البربرية لأن المطالبات والمدافعات لا تتم إلا بالعصبية[4].

للعصبية أيضا دورا في أمد الدولة ونطاقها (مساحتها)، فكلما كان أهل عصابتها أكثر، كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطانا وملكها أوسع[5] لأن أهل العصبية هم حماة الدولة والقائمون عليها، ولذلك لما كانت مثلا كتامة[6] القائمة بدولة العبيديين[7] أكثر من صنهاجة كانت دولتهم أعظم، فملكوا بلاد المغرب ومصر وبلاد الشام، ونفس الأمر ينطبق على قبائل زناتة التي كانت أقل عددا أمام المصامدة[8] فقصر

1- المقدمة: ص122، 124، 129، 136. والعصبية التي يقصدها ابن خلدون ليست بالمعنى اللغوي الضيق، بل بمعنى الإلتحام بالجماعة والتعاون ورابطة المصلحة المشتركة، لأن العصبية والتعصب مما نهى عنه الشرع، وقد يكون تفسير ابن خلدون وفقهاء السنة للقرشية كشرط للخلافة، ليس تعصبا أو تفضيلا لنسب معين وإنما لقوة عصبية قريش في صدر الإسلام، أي العصبية التي تتم بها الحماية والدفاع، وعليه يكون مصطلح العصبة بمعنى الجماعة أقرب إلى الصواب، ولذلك قال إخوة يوسف لأبيهم عليهما السلام:((*قالوا لإن أكله الذيب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون*)) سورة يوسف، الآية 14. وقد يطرح تساؤل آخر وهو لماذا ربط ابن خلدون قوة الدولة وهرمها بالعصبية قوة وضعفا فهو هنا إنطلق من واقع سياسي عاشه شخصيا، وقد يكون ذلك تنبيها على خطر العصبية ذاتها دون أن يصرح به، لأنه من المستحيل أن تبقى العصبية قوية دائما. ساطع الحصري: المرجع السابق، ص135، 157، 172، 351/ سالم خميس: الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998م، ص93/ أحمد ظاهر: المرجع السابق، ص84/ رشا جليس:" مفهوم العمران والتغير الاجتماعي عند ابن خلدون " مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ع2، 2017م، صص28- 34، ص31.

2- يقول ابن خلدون في ذلك: " وذلك أن الرياسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية ". المقدمة، ص102، 104- 105، 122، 230.

3- نفسه، ص110.

4- نفسه، ص148.

5- نفسه، ص129.

6- كتامة: إحدى قبائل بربر البرانس، وهم بنو كتام أو كتم بن برنس، كانوا أشد القبائل قوة وأكثرهم استقرارا، وقد نسبهم البعض إلى البربر كما نقله ابن خلدون، لكنه يؤكد نسبهم البربري، كانت مواطن جمهورهم بأرياف قسنطينة إلى سطيف وبجاية وجبل أوراس، تعود بطون كتامة كلها إلى غرسن ويسودة، فمن غرسن، مصالة وقلان ولهيصة وجيملة ومسالتة وأجانة وأوقاس وملوسة ومنهم بنو زلدوي أهل الجبل المطل على قسنطينة، وبنو يستستن وغيرهم، ومن يسودة، فلاسة ودنهاجة ومتوسة ووريسن، وعد منهم ابن حزم زواوة بجميع بطونهم. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، اعتنى به وراجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م- 1430هـ، مج2، ص1861- 1862/ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1999م، ص501.

7- مرت الدولة العبيدية بمرحلتين، المرحلة المغربية 297- 361هـ/ 909- 972م، المرحلة المشرقية، 362- 567هـ/ 973- 1171م.

8- من أشهر قبائل المصامدة: هرغة- هنتاتة- تينمل- جدميوة- جنفيسة- وريكة- زجراجة- هزميرة- دكالة- حاحة- هيلانة- غمارة- برغواطة. ابن خلدون: المصدر نفسه، مج2، ص1909/ عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م، صص321- 327. اعتبرهم أقحاح البربر لأنهم لم يختلطوا بغيرهم إلا نادرا.

ملكهم أمام دولة الموحدين[1] ، فإذا فسدت العصبية ضعفت الدولة وانقسمت وهو ما حدث في الأندلس عندما ضعفت عصبية العرب، إلا أن كثرة القبائل والعصائب قد تكون أحيانا سببا لسقوط الدول لأن كل قبيلة تظن في نفسها المنعة والقوة فتختلف الآراء والأهواء[2].

3- التوحش: وهي الصفات التي تتميز بها بعض القبائل ولاسيما البدوية منها كالشجاعة والتذامر والأخذ بالثأر، ولذلك يرى ابن خلدون أن الأمة الوحشية ملكها أوسع لأنهم أقدر على التغلب والاستبداد ولا يقتصرون على ملك قطرهم بل يتطلعون إلى الأقاليم البعيدة، ومن ذلك أن الملثمين تمكنوا من ملك أجزاء واسعة من بلاد المغرب والأندلس[3].

4- الدعوة الدينية: يرى ابن خلدون أن القلوب إذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها وذهب التنافس والخلاف وحسن التعاون والتعاضد، وهو ما يلاحظ على كل من المرابطين والموحدين اللذين قامت دولتيهما على دعوة دينية[4] ، فالحاكم يكون مستندا إما إلى شرع فتحصل به المصلحة في الدنيا والآخرة، أو إلى سياسة عقلية تحصل بها المنفعة في الدنيا فقط[5]، إلا أن تلك الدعوة لا بد لها من عصبية كي تتم.

مصدر السلطة وحدود الدولة: يمكن وضع رأي ابن خلدون بالنسبة لمصدر السلطة في نظرية القوة ونظرية العقد الاجتماعية من جهة ثانية على اعتبار دور العصبية كقوة، وحاجة الناس إلى وازع يحكمهم يكون منهم، وهي نفس النظرية التي يقول بها هوبز وروسو. يرى ابن خلدون أن لكل دولة حصة من الممالك والعمالات لا تزيد عليها وهي بمثابة الحدود لها، وذلك حسب قوة العصبية ووفرتها[6].

أطوار الدولة[7]: يحدد ابن خلدون خمسة أطوار للدولة وذلك حسب مراحل تكوينها وأحوالها، تختلف فيها من حال إلى حال وهي:

الطور الأول: الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك الذي يكون فيه للعصبية دورا كبيرا.

1- ابن خلدون: المقدمة، ص138.
2- نفسه، ص130.
3- نفسه، ص114- 115.
4- نفسه، ص124- 125.
5- نفسه، ص238.
6- نفسه، ص128.
7- نفسه، ص138.

الطور الثاني: استبداد صاحب الدولة بالملك على قومه والاإنفراد به دونهم، وخضد شوكتهم حتى لا يقاسمونه الملك، وذلك باصطناع الموالي والصنائع والأتباع حتى يستتب له الأمر.

الطور الثالث: الدعة والتشييد حيث يتفرغ السلطان لتنظيم وضبط شؤون الدولة من جباية وخراج وتشييد المباني والمصانع والأمصار لأه من لوازم وثمرات الملك[1] .

الطورالرابع :يطلق عليه ابن خلدون طور القنوع والمسالمة، ويمكن أن نسميه بطور الاستقرار حيث يرضى صاحب الملك أو الدولة بما وصل إليه.

الطور الخامس : وهو آخر عمر الدولة حيث تصير فيه إلى الهرم إما بسبب الترف ثم الإسراف والتبذير أو بسبب ضعف العصبية والأفراد حيث يتبعون أساليب الفساد من الغش والكذب والحيل والفسوق فيصيبها الهرم إلى أن تنقرض[2].

عمر الدولة: يرى ابن خلدون أن للدولة عمرا كالأشخاص ويحدده بثلاثة أجيال وهي بالسنين مائة وعشرين سنة على اعتبار أربعين سنة هي عمر الجيل الواحد[3]، وإن كان هذا التحديد غير دقيق فقد يزيد عمر الدولة أو ينقص عن ذلك.

خطط الدولة ووظائفها[4]: لا بد للدولة من هياكل إدارية ووظائف دينية ومدنية لاستمرارها وتسيير شؤونها ومن أهمها:

العدالة: وظيفة دينية تابعة للقضاء هدفها تنظيم سائر معاملات الناس وحفظ حقوقهم وأملاكهم.

الحسبة: وهي ظيفة دينية تدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحمل الناس على المصالح العامة ولاسيما في المعاملات كمراقبة الأسواق والمرافق العامة والخاصة وما يجري فيها.

السكة: هي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها من الغش والتدليس والنقص[5].

الوزارة: و هي أم الخطط السلطانية لأن الوزير يشارك السلطان أمور الدولة.

1- ابن خلدون: المقدمة، ص132، 138.

2- نفسه، ص138- 139.

3- نفسه، ص134- 135.

4- نفسه، ص176 وما بعدها.

5- نفسه، ص176- 177.

الحجابة: وهي من يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، وقد اختلفت هذه الوظيفة بين الدول الإسلامية في المشرق والمغرب.

ديوان الأعمال والجباية: وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم.

ديوان الرسائل والكتابة: وهو من يكتب رسائل السلطان وبلسانه ويختم عليها بختمه بعد أن يضع الكاتب فيها علامته أولا أو آخرا.

الشرطة: يعرف متوليها بصاحب الشرطة، وتختلف تسميتها من دولة إلى أخرى، فقد انقسمت في الأندلس إلى كبرى وصغرى، مهمتها قطع مواد الفساد والشر وإقامة الحدود ورعاية المصالح العامة.

قيادة الأساطيل[1]: ظهرت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم الدولة الأموية، وقد أوعز الخليفة عبد الملك بن مروان إلى حسان بن النعمان عامل إفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية بغرض الجهاد ومنها كان فتح صقلية[2]، وقد عرف الأسطول أوج قوته في عهد الموحدين.

شارات الملك والسلطان[3]:

الآلة: ومنها نشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الأبواق.

السرير: وهو أعواد منصوبة أو أرائك منضدة لجلوس السلطان بحيث يكون مرتفعا عن أهل مجلسه.

السكة: وهي الختم على الدنانير والدراهم بختم السلطان لضمان سلامتها من الغش.

الخاتم: هو وضع الختم على الرسائل والصكوك بعد أن تنقش عليه كلمات وتسمى العلامة، وأول من استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائله ثم استعمله الصحابة ثم معاوية بن أبي سفيان.

الطراز: وهو كتابة أسماك الملوك أو رسم شعارات على أثوابهم من الحرير أو الديباج أو الذهب.

1- كانت أول غزوة بحرية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح سنة 34هـ في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ضد الروم وهي غزوة ذات الصواري. ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق وتقديم محمد علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ- 2004م، ص217.

2- المقدمة، ص198.

3- نفسه، ص201.

الفساطيط والسياج: وهي الأخبية والفساطيط والفازات المنسوجة من الكتان والصوف والقطن التي يحملها الملوك في أسفارهم وتنصب عند إقامتهم.

المقصورة: وهي المكان الذي يخصص للسلطان في المسجد للصلاة، وهو المحراب وما يليه.

هرم الدولة وسقوطها: الهرم هو آخر مرحلة تؤول إليها الدولة بعد البداوة والحضارة، وقد حدد عدة أسباب لطروق الهرم إلى الدولة وهي:

- الترف وضعف العصبية: بعد أن تبلغ الدولة مرحلة الحضارة ثم الترف فتضعف العصبية بسبب رخث الحضارة والنعيم وغضارة العيش بعد مفارقة البداوة فترق النفوس وتضعف الحامية[1].

- التطاول إلى الرئاسة والتنازع عليها: وهنا يحاول السلطان أن يكبحهم باستعمال الموالي والمصطنعين فيقضي على أكابرهم ورؤسائهم فيضعف الجند وهو أول خلل يطرق الدولة[2].

- نقص الأموال: إما نتيجة التبذير والإسراف أو بما ينفقه السلطان على الموالي والمصطنعين من أجل مغالبة المناغين له في الملك[3]، وقد يكون نقص الأموال بسبب ضعف الجباية (الخراج).

- الظلم: ولاسيما في الأموال حيث يلجأ السلطان إلى فرض كثير من المغارم والجبايات غير الشرعية لسد حاجاته فتكسد الأسواق و يختل العمران، ولذلك عقد ابن خلدون فصلا بعنوان " في أن الظلم مؤذن بخراب العمران " فإذا وقع الظلم على الناس في أموالهم انقبضت أيديهم عن تحصيله وكسدت أسواق العمران وخلت دياره واختل باختلاله حال السلطان والدولة[4].

- إرهاف الحد: أي سيرة السلطان في رعيته وعلاقته بهم، فإذا كانت ملكته فيهم حسنة كالرفق بهم والنظر في معاشهم حصل الود بين الطرفين لأن السلطان من له رعية والرعية من لها سلطان، وإذا كان السلطان قاهرا لرعيته باطشا بهم منقبا عن عوراتهم لا ذوا منه بالكذب والمكر والخديعة وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات أو أجمعوا على قتله فتفسد عصبية الدولة بالعجز والضعف[5].

1- ابن خلدون: المقدمة، ص133،135، 139، 233.

2- نفسه، ص145، 230، 233.

3- نفسه، ص233.

4- نفسه، ص218- 219، 223.

5- نفسه، ص149.

خاتمة: إن الدولة عند ابن خلدون لا يمكن فصلها عن العمران البشري الذي تطرق إليه في بداية المقدمة ولاسيما موضوع العصبية الذي ركز عليه كثيرا، غير أن ثمة مآخذ على ابن خلدون في هذا الإطار منها تحديد عمر الدولة بمائة وعشرين سنة وذلك ليس صحيحا دائما ولا يستند إلى دليل، ومنها أيضا استقراء الظواهر عند أمم معينة كالعرب والبربر فقط أي التعميم بناء على أمثلة خاصة.

تعود كثيرا من أفكار ابن خلدون بالنسبة للعمران والدولة إلى الطروف السياسية والاجتماعية التي عايشها بنفسه، وإلى الفكر الإسلامي في أن مصير كل شيئ هو الزوال بالنسبة للدولة مثلا.

حاول بعض الدارسين إقامة علاقة أو مقارنة بين فكر ابن خلدون وبعض الفلاسفة الأوروبيين المتأخرين كماركس، فإذا كان الأول ينطلق في تكوين الدولة من العصبية والصراع، فإن الثاني يجد التاريخ بأنه صراع للطبقات، وإذ يرى ابن خلدون أن انهيار الدولة يبدأ من رأس الهرم وبضعف العصبية (البناء الفوقي بالتعبير الماركسي) يرى ماركس أن انهيار السلطة هو الغاية الأسمى التي على المجتمعات أن تسعى إليها، أي أن الانهيار يبدأ من البناء التحتي وهو العامل.

المحاضرة 09: الثورة الفرنسية 1789م

* مقدمة

* فرنسا في عهد لويس السادس عشر XVI (1774- 1791م)

* أسباب الثورة ودوافعها

* الأزمة وبداية الثورة

* مراحل الثورة:

المرحلة الأولى: الملكية الدستورية (جويلية 1789- أوت 1792م)

المرحلة الثانية: الحكومة الثورية أو الجمهورية الأولى (1793- 1794م)

المرحلة الثالثة: حكومة الإدارة 1795- 1799م

* نتائج الثورة

المحاضرة 09: الثورة الفرنسية 1789م

مقدمة: تعد الثورة الفرنسية من أهم الأحداث التي عرفتها أوروبا أواخر القرن الثامن عشر، مثلت انقلابا اجتماعيا وسياسيا فكان لها تأثيرا على العالم كله تقريبا إذ أصبحت مبادئها أسسا للأنظمة الاجتماعية والسياسية، ولذلك اتخذت كمعلم لنهاية العصر الحديث وبداية العصر المعاصر، وإن كان الفرنسيون أنفسهم قد اختلفت آراؤهم حولها.

فرنسا في عهد لويس XVI (1774- 1791م): كانت الملكية في فرنسا واسعة النفوذ، مطلقة السلطان على اعتبار أن سلطتها مستمدة من الله وفق نظرية الحق الإلهي للملوك، حتى قال لويس XIV الدولة هي أنا ولذلك فطاعتهم واجبة، إلا أن الملكية لم تكن في مصلحة الشعب دائما، وإذا كانت فرنسا قد بلغت مكانة سياسية في أوروبا خلال القرن 17م فإن الفساد والتراجع أخذ طريقه مع حكم لويس 16 الذي استخدم سلطته في القضاء على الخصوم والانتقام منهم وتسليط الظلم على الشعب من خلال إرهاقه بالضرائب المختلفة، وتقييد حرية النشر والصحافة، فتوترت الأوضاع الداخلية بانتشار الفساد وتدخل زوجته النمساوية ماري أنطوانيت MARIE ANTOINETTE في الحكم وميلها إلى الإسراف والبذخ مستغلة تسامح زوجها الذي لم يكن صارما ولا قوي الإرادة مما أثار استياء الشعب وسخطه.

أسباب الثورة ودوافعها: لا يمكن إرجاع الثورة إلى تردي الحياة الاجتماعية والنظام الملكي المستبد فقط، وإنما تظافرت مجموعة من العوامل والأسباب لقيامها، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

* الملكية المستبدة التي عاش في ظلها المواطن الفرنسي تحت الاستغلال والظلم، حتى قال أحدهم:" هل يأسف على وقوع الثورة الفرنسية من لا يريد أن يكون مسخرا لصيد الضفادع في الغدران لكي لا تقلق الأمير الإقطاعي في نومه؟ وهل يحزن على نشوبها من لا يريد أن يسجن في البستيل لولع رجل من بطانة الملك بزوجته، أو لانتقاده أحد الوجوه "[1].

* نظام الطبقات الذي قسم المجتمع الفرنسي إلى ثلاث طبقات وهي رجال الدين والنبلاء اللذان كانا يستأثران بالامتيازات والأموال والإقطاعات والإعفاء من دفع الضرائب بتحالفها مع الملك، في مقابل الطبقة الوسطى والعامة التي شعرت بالظلم[2] نتيجة ذلك، لاسيما وأنها كانت مرهقة بدفع أنواع من الضرائب كضريبة الملح وضريبة العشر وضريبة الرأس capitation والتي كانت تمثل بالنسبة لهم نوعا

1- غوستاف لوبون: روح الثورات والثورة الفرنسية، ترجمة عادل زعيتر، كلمات عربية، القاهرة، 2013م، ص12.

2- نفسه، ص92/ محمد قاسمي وحسين حسني: تاريخ القرن 19م في أوروبا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط6، 1348هـ- 1929م، ص3.

من العبودية كما قال عنها مونتيسكيو:" ضريبة الرؤوس أقرب إلى الطبيعة في العبودية "[1]، ولذلك ستكون هذه الطبقة وقود الثورة.

* التطور الفكري والسياسي الذي عرفته أوروبا عموما وفرنسا بصفة خاصة، وذلك بظهور مفكرين وأدباء حملوا هموم شعبهم وعبروا عنها في كتاباتهم وأشعارهم أمثال مونتيسكيو[2] MONTESQUIEU وفولتير[3] VOLTAIRE وجان جاك روسو وغيرهم، والذين ساهمت أفكارهم في يقظة الشعب، لا سيما وأن كثيرا منها كانت تمس الواقع المعاش، فبالنسبة للضرائب يقول مونتيسكيو:" ولا يجوز أن يؤخذ من إحتياجات الشعب الحقيقية مطلقا في سبيل إحتياجات الدولة الوهمية "[4]. فقد هيأت أفكارهم أذهان الشعب لإعادة النظر في حياته وعلاقته بحكومته[5].

* تلاشي قدسية اللاهوت وبروز أهمية العلم، قال غوستاف لوبون:" إن التقاليد الدينية عافتها نفوس المتعلمين قبل أن يتزعزع المبدأ الملكي، وذلك بسبب تقدم العلم الذي أوجب انتقال النفوس من عالم اللاهوت إلى عالم العلم ... وأن جميع ما عد في الماضي محترما أصبح غير جدير بالإحترام "[6]، وهو ما يعتبر ثورة ضد الكنيسة ورجالها.

* الأزمة المالية التي وقعت فيها فرنسا بسبب مشاركتها في حرب الاستقلال الأمريكية والتي كلفتها أموالا باهظة، إضافة إلى حياة الإسراف والبذخ الذي كانت تعيشه الأسرة الملكية ورجال البلاط[7] وعدم اكتراثها بأوضاع الشعب وبخاصة الفلاح الذي عاش أسوأ الظروف.

* نجاح الثورة الأمريكية 1778-1783 م، والتي أصبحت مثالا يحتذى به ودعما معنويا للثوار الفرنسيين.

* ظهور طبقة جديدة متنورة وهي الطبقة المتوسطة- البورجوازية – التي نددت بامتيازات النبلاء ولم ترض بمركزها في ذيل الطبقات ولذلك ستكون على رأس الحركة الثورية.

1- روح الشرائع، ج1، ص317/ عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، ص303.

2- MONTESQUIEU (1689- 1755م) من أشهر الكتاب الفرنسيين، تأثر بالنظام الملكي المقيد في إنجلترا، انتقد الكنيسة، من أشهر مؤلفاته كتاب روح القوانين ESPRIT DES LOIS الذي نشر سنة 1748م وناقش فيه النظريات السياسية السائدة في عصره.

3- VOLTAIRE (1694- 1778م) مفكر وفيلسوف، تميزت كتاباته بالأسلوب اللاذع والساخر في النقد، انتقد الحكم الاستبدادي وهاجم الكنيسة وانحراف رجالها وتدخلهم في السياسة، ونادى بالحرية والمساواة وإصلاح القضاء، وقد سجن بسبب أفكاره عدة مرات، من أهم مؤلفاته كتاب " آراء جمهورية " الذي نشر سنة 1765م، ورسائل عن إنجلترا.

4- مونتيسكيو: المصدر نفسه، ج1، ص306.

5- عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين: المرجع السابق، ص277 وما بعدها.

6- روح الثورات والثورة الفرنسية، ص98- 99.

7- كان عدد رجال البلاط قبيل الثورة 18000، تجرى عليهم المرتبات والأرزاق الضخمة دون أن يكون لهم أي عمل يؤدونه.

الأزمة وبداية الثورة: تعود الأزمة المالية الفرنسية إلى سبعينيات القرن الـ 18م ولاسيما بعد مشاركتها في حرب الإستقلال الأمريكية (1775- 1783م) بالمال والرجال ضد الإحتلال البريطاني، حاول الملك الحد من تفاقمها فعين ترجو JACQUES TURGOT (1774- 1776م) لإدارة الشؤون المالية، لكنه عزل تحت ضغط الحاشية وتولى مكانه جاك نيكر NECKER (1777-1781م) ورغم ما قام به من إصلاحات إلا أنه اضطر إلى ترك منصبه، فعين بدله CALONNE (1781- 1787م) الذي حاول فرض ضرائب جديدة على كل الطبقات دون استثناء بعد أن بلغت الأزمة أشدها سنة 1786م لاسيما وأنها تزامنت مع سنوات قحط فضعف الإنتاج الزراعي، لكنها رفضت من مجلس الأعيان،فأقيل من منصبه وخلفه CHARLES DE BRIENNE (1787- 1788م) الذي أعلن إفلاس الحكومة في 16 أوت 1788م، عندها استدعى الملك نيكر من جديد.

مراحل الثورة: دامت الثورة عشر سنوات من 1789م إلى 1799م، ومرت بثلاث مراحل مهمة، عرفت أحداثا مؤلمة من قتل وتخريب واغتيالات ومؤامرات.

المرحلة الأولى: الملكية الدستورية (جويلية 1789- أوت 1792م): استدعى الملك مجلس الطبقات[1] والذي كان معطلا منذ 1614م للاجتماع في 5/ 5/ 1789م بقصر فرساي بباريس، وبدى التوتر والخلاف منذ البداية بين الحكومة وممثلي الشعب حول طريقة الاجتماع والتصويت، هل يجلس المندوبون في قاعة واحدة أم تجلس كل طبقة لوحدها ؟ وهل تؤخذ الأصوات بصفة فردية أم حسب الطبقات ؟ فالأشراف ورجال الدين يريدون التصويت بالطبقة وهو ما رفضته العامة لأن صوتها سيكون حينئذ **1ضد 2** وطالبوا في المقابل بالتصويت الفردي، ولم تطرح قضية الدستور من قبل الملك. أطلق ممثلو العامة على أنفسهم الجمعية الأهلية في1789/06/17م، وعملوا على صياغة دستور جديد للبلاد، إلا أنهم لقوا معارضة من قبل الأشراف والملك الذي أمر بإغلاق قاعة الاجتماع، عندها توجهوا إلى ملعب التنس المجاور للقصر وصمموا على إتمام الدستور، وفي 23/ 06/ 1789م إستدعى الملك الطبقات الثلاث للاجتماع على أن يكون ذلك بصفة منفصلة، ثم غادر القاعة ومعه الأشراف ورجال الدين، وبقي مندوبو العامة وحدهم بقيادة ميرابو، حاول الملك مسايرتهم لاستراجهم إلى حين استقدام الجيش للتدخل عند الحاجة.

1- تكون من 1154 نائبا: 291 عن رجال الدين، 285 عن النبلاء، 578 عن العامة. لويس عوض: الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية للكتاب، 1992م، ص30/ زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ص39.

عزل نيكر وولي مكانه CHARLES AUGUSTE DE BRETEUIL في 11/ 07/ 1789م من طرف الملك عندها اضطرب الأمن في باريس وقام الشعب بمظاهرات وهاجم مراكز الأسلحة، ومنها تحول رفقة قائد الحرس الثوري MARY JOSEF DE LA FAYETTE (1757- 1834م) إلى قلعة الباستيل[1] فسقط في أيديهم يوم 1789/07/14م، وفي 1789/8/26م وافقت الجمعية العامة على عدة قرارات كإلغاء حقوق النبلاء الإقطاعية وإلغاء ضريبة العشر التي كانت تدفع للكنيسة، وتقرير العدالة والمساواة وإعلان حقوق الإنسان والمواطن[2] الذي تضمن 17 مادة.

أقرت الجمعية الوطنية الدستور الجديد يوم 1791/9/3م ووقعه الملك في 13/ 9/ 1791م بعد أن أوتي به من VARENNES إثر محاولة هروب في 21/ 7/ 1791م ، وقد نص على أن الشعب مصدر السيادة وفصل السلطات، وأن سلطة التشريع تقوم بها هيئة تشريعية منتخبة مهمتها تنفيذ مواد الدستور والتي عقدت أولى جلساتها في 1791/10/1م، وهنا ظهر نزاع داخل أحزاب الجمعية التشريعية، بين اليساريين الممثل في اليعاقبة المتطرفين واليمين المعتدل للدستور، وحزب الوسط وكانوا مترددين.

حلت الجمعية التشريعية نفسها، وتم انتخاب المؤتمر الوطني الذي عقد أول اجتماعا له بتاريخ 1792/09/21م أعلن فيه عن إلغاء الملكية وقيام الجمهورية الأولى في 1792/09/25م. حوكم بعدها الملك ونفذ فيه الإعدام يوم 1793/01/21م.

المرحلة الثانية: الحكومة الثورية أو الجمهورية الأولى[3] 1793- 1794م: وجاءت بعد إلغاء الملكية بقيادة MAXIMILIAN ROBSPIERRE (1758- 1794م) وهو من زعماء الثورة، وكان هدف هذه الحكومة إعادة الأمن للبلاد وحمايتها من التهديدات الداخلية والخارجية، وخلالها حوكم الملك في 1793/1/17م ونفذ فيه حكم الإعدام يوم 1793/01/21م، انتهت هذه المرحلة بالانقلاب على روبس بيير لدمويته، فقدم يوم 28/ 1794/06م، ودخول إنجلترا وبروسيا والنمسا الحرب ضد فرنسا (1793م- 1797م) بعد اجتماع مندوبيها بأنفرس لاقتسام بعض مناطقها، واتفقوا على أن تأخذ بروسيا منطقتي الألزاس واللورين، فيما تأخذ النمسا أرتوا والفلاندر، وتستولي إنجلترا على مرفأ دنكرك.

1- كان الباستيل في الأصل حصنا للدفاع عن مدينة باريس من الشرق، استغرق بناءه اثنتا عشر سنة من 1378م إلى 1390 م ، ثم اتخذ سجنا للمعارضين من رجال الدين والسياسة. لويس عوض: المرجع السابق، ص19.

2- عمر عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص307 وما بعدها/ شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص101.

3- غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص110 وما بعدها/ محمد قاسمي وحسين حسني: المرجع السابق، ص14 وما بعدها.

المرحلة الثالثة: حكومة الإدارة directoire 1795- 1799م: نص دستور 1795م الثالث على إنشاء حكومة إدارة أو سلطة تنفيذية تتكون من 5 أعضاء منتخبون لمدة 5 سنوات، وسلطة تشريعية تتكون من مجلسين هما: مجلس الـ 500 ومهمته سن القوانين، ومجلس الشيوخ وهو مجلس منتخب يتكون من 250 عضوا مهمته مراجعة قرارات مجلس الـ 500، وقد عرفت هذه المرحلة .

عرفت هذه المرحلة كثيرا من التجاوزات ومنها استبداد حكومة الإدارة واستفحال الخراب والفوضى والإنحلال والبؤس، فاستاء الشعب منها وثار فلاحو فاندي (ثورة vendee)[1] وصار الناس ينتظرون رجلا قادرا على إعادة النظام، وهنا تظهر شخصية نابليون بونابرت الذي قاد البلاد إلى حكم الجمهورية القنصلية بعد أن تحالف مع اليعاقبة لإسقاط مجلس النواب.

دخل بونابرت في حرب ضد أوربا، فأحرز إنتصارات ضد إيطاليا والنمسا، أما داخليا فبعد القضاء على الفتن وإعادة الوحدة والنظام، سن دستورا يخو ِله سلطة كافية، نص على إقامة سلطة تنفيذية تتكون من ثلاثة قناصل، على أن يكون رأي إثنين منهم إستشاريا ورأي القنصل الممثل في شخصه نافذا ومنح هذا الدستور أيضا حق تعيين الوزراء وأعضاء مجلس الشورى والقضاة والسفراء والموظفين وأناط بنفسه السلطة التشريعية[2].

نتائج الثورة: كان للثورة الفرنسية آثارا ونتائج سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية ليس على فرنسا فحسب، بل مست أوروبا والعالم، منها ما هي مؤقتة ومنها ما أصبح أفكارا سياسية واجتماعية:

* إلغاء نظام الطبقات الذي كان سائدا وتأسيس نظام جمهوري قائم على الحرية والمساواة والإخاء وهو شعار الثورة.

* ظهور مصطلحات جديدة قوية ذات أبعاد سياسية واجتماعية ونفسية مثل: الوطن، الأمة، حقوق الإنسان، العدالة، الحرية، القانون، الوطنية، الدستور والتي أصبحت كأسس وثوابت في دساتير كثير من دول العالم.

* إعلان أوروبا الرجعية الحرب ضد فرنسا والتي لم تنته إلا بسقوط نابليون الأول في 1814م.

* تحول فرنسا من دولة قائمة على الحق الإلهي إلى دولة ليبرالية علمانية.

1- بارينجتون مور: الأصول الاجتماعية للديكتاتورية والديمقراطية، ترجمة أحمد محمود، م. ع. للترجمة، بيروت، ط1، 2008م، ص129.

2- غوستاف لوبون: المرجع السابق، ص162 وما بعدها/ كارل ماركس وفرديريك إنجلز: العائلة المقدسة، ص160.

* أثبتت الثورة قدرة الإنسان على بناء نظام سياسي جديد قائم على أساس من المبادئ الطبيعية المشروعة، وأعلنت عصر العقل والحقوق الفردية[1].

* تعتبر الثورة نهاية النظام الإقطاعي الزراعي وقيام البورجوازية الصناعية[2].

تعتبر الأكثرية في فرنسا تلك الثورة من المعتقدات، وتظهر لهم حادثا ميمونا، أخرجها من طور الهمجية وحررها من ظلم الأشراف، وإذا كانت الثورة الفرنسية قد نادت بالمبادئ الإنسانية والحقوق كالحرية والعدالة والمساواة، فإن فرنسا ما بعد الثورة لم تلتزم بتلك المبادئ والقيم ولاسيما على المستوى الخارجي إذ سرعان ماراح ساستها وعسكرها ينفذون احتلال دول أخرى منتهكين بذلك حقوق شعوبها من العيش في حرية وأمن.

1- فرنسوا جورج دريفوس: المرجع السابق، ج3، ص64.

2- كارل ماركس وفريدريك إنجلز: العائلة المقدسة، ص159/ البيان الشيوعي، ترجمه وقارنه عن الألمانية العفيف الأخضر، منشورات الجمل، بيروت- بغداد، 2015م، ص102.

المحاضرة 10: النظريات السياسية المعاصرة

* تمهيد

1- الإشتراكية

* مراحل الإشتراكية

* عناصر وأسس قيام الإشتراكية:

أ- الصراع الطبقي (الإستغلال)

ب- البروليتاريا

* البروليتاريا والدولة

2- الليبرالية

* ظروف وعوامل قيام الليبرالية

* بين الإشتراكية والليبرالية

3- الديمقراطية

* ظروف قيام الديمقراطية

* عوامل ظهور الديمقراطية

* مبادئ الديمقراطية

المحاضرة 10: النظريات السياسية المعاصرة

تمهيد: إذا كان القرن الثامن عشر قد عرف تحولا اقتصاديا تمثل في الثورة الصناعية والتي صاحبها ظهور نظريات اجتماعية واقتصادية، فإنه عرف من جهة أخرى أفكارا سياسيا ستتجلى أكثر ابتداء من القرن التاسع عشر من خلال بروز ثلاث نظريات سياسية سادت العالم كأنظمة للحكم، والحقيقة أن هذه النظريات لا يمكننا أن نفصلها عن الأفكار الاقتصادية.

1- الاشتراكية socialisme: ظهر الفكر الاشتراكي في الصين القديمة على لسان كونفوشيوس (551-479ق.م) وفي اليونان على يدي فالياس phaleas وأفلاطون، أما في عصر النهضة فقد تبنى هذا الفكر الإنجليزي توماس مور (1478- 1535م)[1] والإيطالي كامبانيلا (1568- 1639م) إلا أنه ظل بعيدا عن الدراسة العلمية حتى القرن التاسع عشر، وقد ظهرت عبارة اشتراكية في آن واحد تقريبا في فرنسا وإنجلترا بين سنوات 1830- 1840م، لكن معناها كان غامضا وغالبا ما يفسر تفسيرا اقتصاديا[2] فيرى الفرنسي PIERRE LEROUX[3] (1797- 1871م) أنها تتعارض مع الفردانية، بينما يرى الإنجليزي ROBERT OWEN (1771- 1858م)[4] الذي تنسب إليه الشيوعية الأوينية، فيرى أنها تجمعات تعاونية حيث اقترح تنظيم الحياة الاجتماعية على قاعدة إلغاء النظام الرأسمالي وتنظيم الصناعة والزراعة والتجارة على أساس التعاون.

أما المفهوم الماركسي للإشتراكية فهي مجموع الآراء الفلسفية والإقتصادية والاجتماعية والسياسية التي صاغها كارل ماركس في مؤلفاته ولاسيما البيان الشيوعي بحيث شكل رؤيته للعالم، وقد اعتمد فيها صاحبها على الفلسفة الكلاسيكية الألمانية (هيغل) والإقتصاد السياسي الإنجليزي

1- قال توماس مور عن الدولة المثالية التي تصورها: أما السبيل إلى تحقيق العدالة فهو إشتراكية الحياة، فالملكية الخاصة والعمل في سبيل تحقيق أكبر قدر من الربح الشخصي هما أساس الظلم والحرب. يوتيبيا، ترجمة وتقديم أنجيل بطرس سمعان، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1987م، ص55.

2- من ذلك أن الإصلاح الانتخابي الذي جرى في إنجلترا سنة 1832م ورفع بموجبه عدد الناخبين من 425 ألف إلى 650 ألف، كان إصلاحا هادفا لخدمة طبقة معينة وهي الطبقة البورجوازية بهدف تأمين أوسع للصناعيين والتجاروالمصدرين. أما من الناحية العلمية فإن المعرفة الأنتروبولوجية (ما هي الطبيعة الإنسانية وما هي الحقوق المقترنة بها) والأخلاقية (ما هي غاية أو مصير الكائن الإنساني) منذ القرن 18م لم تعد هي ا لتي يستخدمها الموظ السياسيون لتحديد كيفيات عمل الدولة وأهدافها وحدودها وغاياتها، بل سيتم الإعتماد بالأساس على المعارف الإقتصادية. موريس كونفورث: مدخل إلى الجدلية المادية، ص138/ جان توشار: المرجع السابق، ص415، 431- 432.

3- فيلسوف وكاتب ومناضل اشتراكي، إلتحق لفترة وجيزة بالحركة السان سيمونية المناهضة لليبرالية قبل أن ينفصل عنها سنة 1831م متخذا موقفا وسطا بين الفردانية المطلقة التي كان ينادي بها الليبراليون للتقليص من تدخل الدولة (دولة أقل = le moindre etat) وبين الإشتراكية المطلقة. موريس كونفورث: المرجع نفسه، ص162.

4- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص354 وما بعدها.

والإشتراكية الطوباوية الفرنسية[1]، وهي ترى إستبدال النظام الليبرالي بتنظيم متناسق لا يفضي فقط إلى نتائج أكثر عدلا ومساواة، بل تفضي أيضا إلى نتائج أكثر تشجيعا للتطور الكامل للشخصية البشرية[2]. تأسست من طرف ماركس وإنجلز في القرن الـ19م، وساهم في إنجاحها فلادمير أوليانوفيتش (لينين 1870- 1924م).

إن الاشتراكية من الناحية السياسية تعني سيطرة الدولة على كل الأنشطة بما فيها النشاط السياسي أي الحكم ويكون المواطن أو الفرد جزءا من المجموع الذي هو الدولة، وكنتيجة لذلك ظهرت الأحزاب الاشتراكية في أوروبا خلال الربع الأخير من القرن 19 م، فأسس هاردي مثلا حزب العمال في إنجلترا سنة 1892م[3] ، ودعا الاشتراكيون إلى توسيع أفق الانتخاب ليشمل الطبقة الكادحة، وقد تمكن الحزب الاشتراكي من الوصول إلى السلطة سنة 1924م بزعامة RAMSAY MAC- DONALD[4]. أما من الناحية الإقتصادية فتعني ملكية الدولة للثروة ولوسائل الإنتاج والتي هي في الأخير ملكا للعمال[5].

مراحل الإشتراكية: مرت الإشتراكية بمرحلتين أساسيتين: المرحلة النظرية ويمكن إرجاعها تاريخيا إلى أواخر القرن 18م عامة وإلى الثورة الفرنسية بصفة خاصة، حيث كانت كأفكار بالنسبة للفلاسفة وكمطالب اجتماعية بالنسبة للشعب، ومن أشهر منظريها في فرنسا سان سيمون. ثم المرحلة التي انتشرت فيها الأفكار الإشتراكية بفرنسا وألمانيا وإنجلترا والإتحاد السوفياتي وأصبحت مبادئا عملية[6] بداية مع لويس بلان LOUIS BLANC (1812- 1882م) في فرنسا الذي قال في كتابه نظام العمل أنه من واجب الحكومة أن تهب المال اللازم للعمال لتأسيس مصانع أهلية يجني منها فوق أجره نصيبا من

1- يمثل الإشتراكية الطوباوية في إنجلترا روبرت أوين، وفي فرنسا FRANCOIS CHARLES MARIE FOURIER (1772- 1837م) و CLAUDE HENRE DE SAINT- SIMON (1760- 1825م) ويعد هذا الأخير مؤسس الإشتراكية الفرنسية، والإقتصاد السياسي الذي لخصه سنة 1917م في صحيفة البيان = organe- manifeste، تأثر بحرب التحرير في الو.م.أ، وبتطورها الصناعي، يرى أنه لا سبيل إلى إسعاد البشرية إلا باستثمار موارد الطبيعة وتوزيعها بطريقة عادلة. كان هدف هؤلاء جميعا تحرير البشرية وإقامة مملكة العقل والعدالة الأبدية. موريس كونفورث: المرجع السابق، ص160- 161/ فردريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص78- 79/ ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص153- 154، 349/ محمد قاسمي وحسين حسني: تاريخ القرن 19م في أوروبا، ص243.

2- موسوعة لالاند الفلسفية، ص1301.

3- فرنسوا جورج دريفوس وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام من عام 1789م إلى أيامنا، ص302- 303.

4- شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق، ص180.

5- كان روبارت أوين يرى أن القوى المنتجة الجديدة التي لم تكن تستخدم سوى لإغناء القلة واستعباد الجماهير، تصلح كأساس لتنظيم اجتماعي جديد للعمل من أجل الرفاه العام كملكية عامة للجميع. فردريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص98.

6- مرر أوين أول قانون يحد من عمل الأطفال والنساء سنة 1819م. فردريك إنجلز: المصدر نفسه، ص100- 101.

الأرباح، ثم جاء كارل ماركس وفردريك إنجلز اللذان صاغا وجسدا أفكارهما الإشتراكية في مؤلفاتهما كالبيان الشيوعي، ورأس المال وغيرهما.

تأثر ماركس بالثورة الفرنسية وبكتابات سان سيمون التي استلهم منها كثيرا من أفكاره، كان حادا وجريئا في طرح آرائه مجادلا عنها، ينتقد الديمقراطية والرأسمالية التي كان يعتبرها دائما سبب الطبقية وسبب تعاسة وشقاء البروليتاريا[1].

عناصر وأسس قيام الإشتراكية: يرجع زعماء الإشتراكية ومنظروها الأوائل ولاسيما ماركس ظهورها إلى تطورات تاريخيةمركزين فيها على عنصرين: بشري اجتماعي، ومادي إقتصادي.

أ- الصراع الطبقي (الإستغلال) : يعتبر كل من ماركس وإنجلز أن تاريخ البشرية كله صراع اجتماعي بين طبقتين طبقة مستغلة وطبقة مستغلة، قال إنجلز: الفكرة الجوهرية والقائدة للبيان ألا وهي أن الإنتا ج الإقتصادي والبنية الاجتماعية المتفرعة عنه بالضرورة يشكلان في كل حقبة تاريخية أساس التاريخ السياسي والفكري لهذه الحقبة، ولذا فإن التاريخ كله (منذ إنحلال الملكية المشاعة القديمة للأرض) كان تاريخ الصراع بين الطبقات، كان في مراحل التطور الاجتماعي تاريخا للصراع بين الطبقات المستغلة والطبقات المستغلة[2]. فهو يرى الصراع كقضية تاريخية تبدأ من الإنتاج الأسيادي العبيدي ثم الإنتاج الإقطاعي الفلاحي ثم الإنتاج الرأسمالي العمالة، ويعطي على ذلك أمثلة بادئا بالتاريخ الروماني القديم (النبلاء، الفرسان، العامة، العبيد) مرورا بتاريخ القرون الوسطى الإقطاعي حيث (الأسياد، الأتباع، معلمو الحرف، الصناع، الأقنان) ومنتهيا بالبورجوازية حيث (الرأسماليين، العمال).

إنطلق الشيوعيون من صراع الطبقية كأساس لفكرهم، فعملوا على إزالة أسباب ذلك الصراع من خلال العمل على تحقيق المساواة والمشاركة الجماعية في رأس المال والثروة والإنتاج، قال إنجلز:" ومنذ الآن أصبح على الخرافة والظلم والإمتياز والإضطهاد أن تخلي الطريق أمام الحقيقة الخالدة والعدالة الأبدية والمساواة القائمة على الطبيعة وحقوق الإنسان "[3].

1- فردريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص76/ ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص46، 77/أنطوني جدنز: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ص19.

2- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص28، 45، 97/ فردريك إنجلز: المصدر نفسه، ص118/ أنطوني جدنز: المرجع نفسه، ص185. يعترف الليبرالي MAX WEBER (1864- 1924م) بالصراع الطبقي لكن لا يعطيه تلك الصورة الدرامية التي يتصورها ماركس.

3- فردريك إنجلز: نفسه، ص75، 103.

ب- البروليتاريا: وهي النقطة الجوهرية في الفكر الإشتراكي لأن هذه الطبقة في نظرهم ضحية ونتيجة للرأسمالية، المرحلة الثالثة للصراع الطبقي، ولذلك ركز عليها ماركس كثيرا وقد يكون ذلك بسبب الإستغلال الذي عانته (تشغيل النساء والأطفال، طول ساعات العمل، تحكم الرأسماليين في الأجور).

إعتبر زعماء الإشتراكية أن البورجوازية الرأسمالية تستغل جهد العمال، وهي لا تختلف عن أنظمة الإستغلال القديمة إلا في الوسائل والشكل التي نجم عنها فقر طبقة البروليتاريا[1] الأمر الذي استخدمه الماركسيون كرهان ضد خصمهم الرأسمالية. أما ظهور هذه الطبقة فهو نتيجة حتمية لقيام المصانع الكبرى واختفاء دور الحرفيين الذين أصبحوا مجبرين على العمل في المصانع، أو لاستيلاء الرأسماليين على أراضي المزارعين الذين انتقلوا بدورهم للعمل في المدن.

يتمثل إستغلال البروليتاريا في اعتبارها من قبل الرأسمالية كسلعة تباع وتشترى كباقي السلع لأن العمال يبيعون أنفسهم وجهدهم للرأسمالي، وبذلك تحولت كرامتهم الشخصية إلى مجرد قيمة تبادل[2] وعندما يشتري الرأسمالي قوة عمل عامله كسلعة فإنما يحصل مع ذلك على قيمة تفوق التي دفعها[3] فيصبح العامل وكأن جزءا منه مملوك لغيره. ثم أن العامل ينتج ما قيمته أكثر مما يحصل عليه أي أن أجره لا يتناسب مع ما أنتجه (الإنتاج)، فإذا كان عدد ساعات العمل مثلا هو 10 ساعات يوميا وأنتج العامل ما قيمته 5 ساعات فتكون الـ 5 ساعات الأخرى فائض قيمة يمتلكه الرأسمالي، لأن كتلة أجور العمال (رأس المال المتغير) هي التي تخلق فائض القيمة، فكأن الرأسمالي يدفع جزءا فقط من قيمة الإنتاج، ويكون الفرق بينهما هو فائض القيمة[4].

البروليتاريا والدولة: إن سقوط البورجوازية الرأسمالية وانتصار البروليتاريا أمران حتميان في الفكر الماركسي[5]، فسلطة الدولة- الحكومة - عندهم ما هي إلا لجنة تدير شؤون الطبقة البورجوازية[6]،

1- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص46- 48، 102/ أنطوني جدنر: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ص19.

2- ماركس وإنجلز: المصدر نفسه، ص61، 77.

3- فردريك إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص120.

4- كارل ماركس: رأس المال، ترجمة فهد كم نقش، دار التقدم، موسكو، 1985م، مج1، ص247/ جوزيف شومبيتر: الرأسمالية والإشتراكية والديمقراطية، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011م، ص31. فائض القيمة: هو القيمة الجديدة التي تنشأ بوا سطة العمل غير المأجور من قبل العامل بناء على قيمة قوة العمل، وهكذا يكون فائض القيمة هو أساس تراكم رأس المال البورجوازية، في المقابل يكون فناء جهد الإنسان في العمل، أو بعبارة أخرى هو العمل المنجز الزائد عن الضروري لحاجة العامل.

5- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص100 وما بعدها.

6- ماركس وإنجلز: نفسه، ص58.

وبالتالي يجب القضاء عليها وإزالتها من خلال القيام بحرب أو ثورة معلنة[1] لنسف البنية[2] الفوقية للبورجوازية بواسطة الإتحاد والنضال تطبيقا لافتتاحية البيان الشيوعي" يا عمال العالم إتحدوا ".

تسيطر البروليتاريا في المرحلة الأولى على السلطة السياسية، وتستخدمها لتنتزع من البورجوازية شيئا فشيئا رأس المال كله وتركز جميع أدوات الإنتاج بين يدي الدولة[3]، وبالتالي تتولى الطبقة العاملة زمام الحكم، وتسمى هذه المرحلة بدكتاتورية البروليتاريا، وهي فترة انتقالية نحو تحقيق الشيوعية، وما أن تقضي بالقوة على علاقات الإنتاج القديمة وعلى الطبقية ويتجمع الإنتاج بين أيدي المتشاركين حتى تفقد السلطة العامة طابعها السياسي. وتقضي بالتالي على سيطرتها الطبقية هي نفسها[4]. أما المرحلة الثانية وهي الشيوعية الكاملة التي تزول فيها الدولة بصفة كاملة تدريجيا وتصير مجرد إدارة، ويصبح الشعب يحكم نفسه بنفسه، وتسمى بالبروليتاريا الناضجة[5] التي يتحرر فيها الإنسان لأنه ينتصر على نفسه وأنانيته، يقول ماركس:" عندما تنتصر البروليتاريا لا تصبح في حال من الأحوال الجانب المسيطر في المجتمع لأنها انتصرت فقط بالقضاء على نفسها وعلى نقيضها " ويؤيد الشيوعيون على علماء الإقتصاد حول قضية الملكية الخاصة والمصلحة الذاتية كمميزات للطبيعة البشرية، بأن المجتمع الشيوعي يقوم على الوعي الشعوري للإعتماد المتبادل بين الفرد والطائفة الاجتماعية[6] وقد اعتبر ماركس هذه المرحلة كنهاية للتاريخ[7] لأن في المجتمع الشيوعي يعيش كل فرد بحسب قدرته وحاجته وتزول الطبقات ويزول معها الصراع ويقهر الفرد غربته[8].

إختلف زعماء الاشتراكية بعد ماركس، سواء من حيث التطبيق أو من حيث الدعوة، بين من يدعو إلى اشتراكية أممية أي عالمية مثل تروتسكي، وبين إشتراكية قومية وطنية مثل ستالين، أما من حيث الفلسفة فيمكن أن نقسمها إلى:

* **الإشتراكية الإصلاحية (التطورية):** تدعو لإقامة نظام جديد بطرق قانونية شرعية بلا عنف أو ثورة.

* **الإشتراكية الثورية:** تدعو أن نظام إقتصادي جديد، يمكن تحقيقه بالإنقلاب والعنف.

1- نفسه، ص95 وما بعدها/ حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، ص123.

2- يتكون المجتمع حسب الشيوعية من جزأين: البنية structure التحتية وهي ثابتة- البروليتاريا- ثم البناء العلوي وهو قابل للتغيير.

3- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص117، 124/ ف. إنجلز: الإشتراكية الطوباوية والعلم، ص161/ ي. هابرماس: المرجع السابق، ص50.

4- البيان الشيوعي، ص128/ جان توشار: المرجع السابق، ص484، ص500.

5- ماركس وإنجلز: العائلة المقدسة، ص41.

6 - أنطوني جدنز: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ص27.

7- لا تعني نهاية التاريخ توقف الدورة الطبيعية من ولادة وحياة وموت وإنما تعني أنه لن يكون ثمة مجال لمزيد من التقدم في تطور المبادئ والأنظمة السياسية، وذلك لأن كافة المسائل الكبيرة حقا ستكون قد حلت. فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1413هـ- 1993م، ص9/ جان توشار: المرجع السابق، ص500.

8- الحقيقة أن الصراع والتناقض داخل أي مجتمع لا يقوم على الطبقية فقط، بل قد يقوم على أسس طائفية أو عنصرية أو غيرها.

* **الإشتراكية الطوباوية (الخيالية):** تنطلق من الإنشاء والوصف الكامل للحالة الاجتماعية المقبلة.

2- الليبرالية: مشتقة من الكلمة الإنجليزية liber وتعني الحر ومنها liberalism أي التحرر، وهي مذهب سياسي واجتماعي يهدف إلى تحرير الإنسان من القيود الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فتعني سياسيا استقلال الفرد وحماية حرياته السياسية والمدنية، وتقوم على الإيمان بالنزعة الفردية القائمة على حرية الفكر والتعبير والمساواة أمام القانون، أي أنها بمثابة القاعدة القانونية التي تعترف بالحقوق والحريات للفرد، ولذلك يرى سارتر أن الحرية ليست قدرة من قدرات الروح أو ملكة يكتسبها الإنسان وإنما هي في صميم وجود الإنسان حيث يقول: إن الإنسان لا يوجد أولا ليكون بعد ذلك حرًا وإنما ليس ثمة فرق بين وجود الإنسان ووجوده حرا[1]. وترى أن الإجماع الديني ليس شرطا ضروريا للتنظيم الاجتماعي. أما إقتصاديا فترى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية ولا تجارية ولا يحق لها التدخل في العلاقات الإقتصادية التي يقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم، وبالتالي فهي ضد الدولانية[2] etatisme، وقد افترض هيجل نهاية للتاريخ بقيام الدولة الليبرالية واعتبر ها المطمح الوحيد للشعوب[3] ، فهي بذلك تعارض الاستبداد autoritarisme ،وتعد الأساس العقائدي للحكومة التمثيلية وللديمقراطية البرلمانية التي تضمن الحرية والحقوق الأساسية للأفراد واحترام القانون وتطبيقه[4].

لا تقبل الليبرالية بالمساواة التي تدعو إليها الاشتراكية لأنها ضد الطبيعة ومنافية لمبادئ الليبرالية كما يرى بورك[5] وسان سيمون[6] ، إلا أن بعضهم كمونتيسكيو لم يكن من أنصار الليبرالية المطلقة في جانبها الاقتصادي فقد كان يرى أن الدولة ملزمة بتأمين المعيشة لكل المواطنين[7].

1- حبيب الشاروني: فلسفة جون بول سارتر، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، ص133.

2- موسوعة لالاند الفلسفية، ص726.

3- فوكوياما: المرجع السابق، ص9- 10.

4- جان توشار: المرجع السابق، ص404/ غيوم سيبرتان- بلان: الفلسفة السياسية في القرن 19- 20م، ص321.

5- EDMUND BURK (1729- 1797م): برلماني في حزب الأحرار الإنجليزي، وهو ليبرالي فرداني، يعتبر تعاسة الفقراء أمرا ربانيا، وهو أيضا مبتكر مصطلح السلطة الرابعة (الصحافة) بعد رجال الدين والنبلاء والعوام الذين تتشكل منهم الحكومة. جان توشار: نفسه، ص370.

6- HENRY DE SAINT SIMON (1760- 1825م) فيلسوف فرنسي ورأس المدرسة السياسية والاجتماعية المعروفة بالسيمونية. يعطي أهمية للفئة العاملة والمنتجة، ولذلك يقول أنه لو توفي الساسة والحكام يكون الحزن عنهم عاطفيا، أما المنتجون فيكون تأثيرهم اجتماعيا واقتصاديا، فهو يربط بين السياسة والاقتصاد. جان توشار: نفسه، ص312، ص437- 438/ ماريا لويزا برنيري: المرجع السابق، ص266.

7- عندما يتكلم عن الديمقراطية يقول أنه لا بد من تجنب طرفي الثروة والفقر عن طريق وضع حد أدنى وحد أقصى للملكية.جان توشار: المرجع نفسه، ص313/ ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية، ج2، ص77.

ظروف وعوامل قيام الليبرالية: بما أن الحرية المالية هي أحد أهم أسس الليبرالية، فلا بد أولا من معرفة ظروف وأسباب نشأة وتراكم رأس المال، وما هي الفئة أو الطبقة التي امتلكته ؟ ومن ساعدها على ذلك ؟ وكيف وفيما وظفتها ؟

* **ظهور الطبقة البورجوازية:** يمكن إرجاع ظهور هذه الطبقة إلى أواخر القرون الوسطى وبداية عصر النهضة عندما نمت ثروة التجار في المدن، وراحوا يطالبون بإلغاء الرسوم التي تعيق حرية تنقلهم وفعلا فقد حصلوا على مبتغاهم من قبل بعض ملوك فرنسا مثل فليب الفاتح[1] وفليب الرابع[2]، كنوع من التحالف بين الملوك والطبقة الثالثة (tiers- etat) ضد أمراء الإقطاع وضد الإكليروس، وهو ما مكنها من توظيف أموالها داخل المدن وليس في الارض التي بدأت تفقد مكانتها شيئا فشيئا كمصدر وحيد للثروة، وساد الإقتصاد السلعي ورأس المال التجاري (النقدي)[3]، وهكذا تضاعفت أموالها وأصبحت فئة غنية تسكن الأبراج والضياع les bourgs ومنه، أطلق على الواحد منهم BOURGEOIS بورجوازي وبورجوازية على مجموعهم كطبقة، وهؤلاء البورجوازيين هم الذين سيقودون الصراع ضد الملكية خلال الثورة الفرنسية. أما في إنجلترا فإن جذور البورجوازية تعود إلى أواخر القرن الـ 16م عندما استولت الأرستقراطية على أراضي ضغار الفلاحين، ثم توجت تقدمها بعد ثورة 1688م، وتحويلها لأراض واسعة إلى مراع بسبب حاجة صناعة النسيج (الحياكة) إلى الصوف[4] ، فيما يسمى بحركة التسييج التي بلغت مداها سنة 1760م، بعد طرد مالكيها الصغار منها أو إضطرارهم لبيعها تحت ضغط المرابين فتحولوا إلى عمال أجراء في المدن[5] ، وهو ما مكن المرابين من الحصول على مزيد من الأراضي، وقد أدى إنخفاض الإنتاج الزراعي إلى غلاء الأسعار وارتفاع عدد الفقراء حتى أنه بحلول عام 1832م كان حوالي نصف سكان القرى يحصلون على الدعم[6].

نمت إذا البورجوازية في القرن الـ 18م ونمت معها المدن والموانئ التجارية والحرف الصناعية وتطور الإنتاج الزراعي وازدهرت التجارة في ظل حرية تنقل السلع والأموال، حتى قال فولتير: " التجارة أغنت مواطني إنجلترا وساعدت على جعلهم أحرارا، وهذه الحرية ساعدت بدورها على توسيع التجارة، ومن

1- فليب الثاني PHILIPPE AUGUST (1180- 1223م) سابع ملوك الأسرة الكابتية بفرنسا، وأحد المشاركين في الحروب الصليبية.

2- فليب الوسيم أو الملك الحديدي PHILIPPE IV dit LE BEL et LE ROI DE FER (1285- 1314م) وهو 11 ملوك الأسرة الكابيتية.

3- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص162، 164- 165/ أنطوني جدنز: المرجع السابق، ص39/ حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون، ص120.

4- توماس مور: يوتيبيا، ص106/ باريتجتون مور: المرجع السابق، ص47/ فرناند بروديل: ديناميكية الرأسمالية، ترجمة شفيق محسن، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2008م، ص54.

5- ماركس وإنجلز: المصدر نفسه، ص195- 196/ أنطوني جدنز: نفسه، ص40- 41.

6- أنطوني جدنز: المرجع نفسه، ص55.

هنا تكونت عظمة الدولة " فالتجارة عنصر الثروة والثروة عامل الحرية[1]، وبفضل ذلك هيمنة الطبقة البورجوازية على الأفكار وعلى الحياة السياسية.

* الكشوف الجغرافية أواخر القرن الـ 15م وفي القرن الـ 16 م والتي قدمت للبورجوازيين أسواقا للتبادل التجاري وتدفق البضائع والمعادن الثمينة من القارة الأمريكية، خلقت إقتصادا نقديا أصبح رأس المال.
* تطور الصناعة (المانيفاكتورة) والملاحة البحرية وشبكة المواصلات الذي أدى إلى تصريف الإنتاج.
* ظهور ويقظة الحركات القومية[2] خلال القرن الـ 19 م في ألمانيا وإيطاليا والنمسا ... والتي ولدت الوطنية ومن ثم الرغبة في التحرر، فكانت الليبرالية بمثابة الضمان للحرية.

بدأت الليبرالية السياسية أولا في أوروبا الغربية انطلاقا من إنجلترا بصفة فعلية بعد 1818م وبالضبط سنة 1832م وارتبطت أكثر بالجانب الاقتصادي، ولذلك حاولت الدول التي تبنت الليبرالية لاحقا أن تخلق نموذجا مستوحى من بريطانيا، أما في فرنسا فظهرت سنة 1848م أي بعد ثورة 1789م[3].

حققت الليبرالية مزيدا من الحرية في ظل التطور الصناعي والتكنولوجي الهائل في العصر الحالي التي جعلت الإنسان يشعر وكأنه تحول من كائن فان إلى مالك الأرض وصانع مصيرها ومستقبلها[4]. وإذا كان قيام الليبرالية كنتيجة للثورة على النظام الإقطاعي والملكية المستبدة آنذاك[5]، فإنها لم تزد الشعوب إلا استعبادا وقهرا، لاسيما الضعيفة منها .

بين الاشتراكية والليبرالية: ترى الإشتراكية الماركسية أن الليبرالية الرأسمالية خطرا على الفرد والمجتمع حيث تمت قيمة الفرد وأصبح مجرد سلعة أو شيء وهو ما يدعوه ماركس بالتشيؤ objectification يعيش الإغتراب[6] alienation بسبب الرأسمالية التي أقصته وجردته من إنسانيته فما ينتجه لا يملكه هو، بل يملكه الآخرون، ومنها أيضا تمزيق الحجاب العاطفي الذي كان مسدلا على

1- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص195- 196/ جون توشار: نفسه، ص299.

2- القومية الواعية وتمثلها المدرسة الفرنسية وقد خرجت إلى الوجود بعد أن نشر روسو كتابه العقد الاجتماعي سنة 1762م، والقومية اللاإرادية وتمثلها المدرسة الألمانية ومن أبرز مفكريها HARDER وهي نتاج تطور تاريخي. عبد العظيم رمضان: المرجع السابق، ص30.

3- فرنسوا جورج دريفوس: المرجع السابق، ص77/ جان توشار: المرجع السابق، ص415.

4- أنور عبد الملك: تغيير العالم، ص84.

5- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص69/ جان توشار: المرجع السابق، ص77.

6- الإغتراب: وضع يجعل الفرد يغترب عن إنسانيته، أو هو حالة نفسية مسيطرة على الفرد تجعله غريبا وبعيدا عن النواحي الاجتماعية في واقعه، ويقسم ماركس الإغتراب إلى أربعة أنواع: - الإغتراب عن منتجات العمل التي لا تعود ملكيتها للعامل بل للرأسمالي. – الإغتراب داخل عملية الإنتاج نفسها، فالعامل مقيد بعمالة الأجر. - الإغتراب عن الوجود البشري، فالناس محرومون بسبب لاإنسانية الرأسمالية. – إغتراب الإنسان عن الإنسان، تخلق الرأسمالية صراعا بين العمال أنفسهم حول فرص العمل. أنطوني جدنز: المرجع السابق، ص21.

العلاقات العائلية وأحالتها إلى علاقات مالية صرفة[1] لأن الأب والأم والإبن فرق بينهم مصنع الرأسمالي، ولذلك دعا ماركس سنة 1864م في اجتماع (الأممية الأولى) بلندن العمال إلى توحيد جهودهم ضد الرأسمالية، ورغم النجاح الذي حققته الإشتراكية مع مطلع القرن الـ 20م فإنها لم تستطيع الصمود أمام زحف الليبرالية الرأسمالية، حيث تخلت كثير من الدول الاشتراكية ولو جزئيا عن مبادئها ولاسيما الاقتصادية مثل الصين[2]، وهو ما يعتبر نجاحا لليبرالية وفشلا للاشتراكية.

3- الديمقراطية: وهي نظام الحكم الذي يكون فيه الشعب مصدر السلطة[3] والسيادة بصورة مباشرة أو نيابية، والحاكم فيها خادم للشعب ومسؤولا أمامه. أو هي الحق المعترف به من الجميع لكافة المواطنين في أن يكون لهم نصيب في السلطة السياسية وهو من مبادئ الليبرالية ذات الصلة الوثيقة بالديمقراطية، ورغم ذلك يمكن الفصل بينهما، فمن الممكن أن تكون الدولة ليبرالية دون أن تكون بالضرورة ديمقراطية[4].

ظروف قيام الديمقراطية: رغم أن الديمقراطية تاريخيا قديمة تعود إلى اليونان، فإن تطبيقها يعود إلى الفترة الحديثة كرد على استبداد الملوك الذين كانت بأيديهم جميع السلطات، والتخلص من نفوذ رجال الدين، وقد كانت إنجلترا السباقة إلى ممارسة وتطبيق مبادئ الديمقراطية منذ القرن الـ 17م أي بعد ثورة 1688م من خلال إنشاء المجالس النيابية وإصدار القوانين، وبه أخذت كثير من دول أوروبا لاحقا ومنها الثورة الفرنسية. ثم تطورت بالتطور الإقتصادي والاجتماعي.

عوامل ظهور الديمقراطية:

* سقوط فكرة الدولة الإمبراطورية وإفساح المجال للدول القومية لاسيما بعد ضعف الإمبراطورية الرومانية المقدسة التي أنشأها أوتو وشارلمان ثم شارلكان (1500- 1558م).

1- ماركس وإنجلز: البيان الشيوعي، ص32.

2- فرانسيس فوكوياما: المرجع السابق، ص53. يعطي مثالا عن بعض دول أمريكا اللاتينية فيقول: " أن التخلف ليس ناجما عن الظلم اللصيق بالرأسمالية بقدر ما هو ناجم عن عدم تطبيق بلادهم للرأسمالية في الماضي بدرجة كاملة.

3- آدم فرغيسون: مقالة في تاريخ المجتمع المدني، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، مراجعة هيثم غالب الناهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014م، ص108/ ليو شتراوس: تاريخ الفلسفة السياسية، ص76.

4- فرانسيس فوكوياما: المرجع السابق، ص55/ محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص357.

* النضال السياسي والحركات الإصلاحية المطالبة بمزيد من الحقوق والحريات، ومنها الحركة الميثاقية chartism التي ظهرت في بريطانيا سنة 1838م وطالبت بما أسمته " ميثاق الشعب " الذي طالبت فيه:

الإنتخاب العام، الإقتراع السري، تقسيم البلاد إلى دوائر إنتخابية متساوية، إلغاء ضريبة الترشيح المفروضة على النواب[1].

* تطور الفكر السياسي بظهور فلاسفة وأدباء نادوا بالحرية والحقوق مثل روسو الذي قال أن لكل فرد حقوق طبيعية في الحياة كالحرية والتملك، وأن الشعب هو السيد وأن الحكومة تحمي الشعب وليس من حقها التدخل في حرية المواطنين[2].

* قيام الثورة الفرنسية ضد الاستبدادية الملكية وتغييرها لكثير من المفاهيم السياسية والاجتماعية والتي انتقلت أفكارها إلى باقي دول أوروبا.

* التحولات والتطورات الاجتماعية التي أصبح يعيشها المجتمع الأوروبي وإيمانه بالحرية والمساواة وتطبيق القانون وولائه للدولة وليس للأشخاص.

مبادئ الديمقراطية: إن أهم أساس تقوم عليه الديمقراطية المعاصرة هو الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية وذلك لمنع التعسف والاستبداد، وليس المقصود من الفصل أن تستقل كل هيئة تمام الاستقلال عن الأخرى وإنما هو عدم تجميعها في يد واحدة بحيث لا يمنع هذا التوزيع أو الاستقلال من تعاون ورقابة كل هيئة للأخرى، ويعتبر أرسطو أول من نادى بفصل السلطات، كما يرجع الفضل في صياغة هذا المبدأ صياغة جديدة إلى مونتيسكيو في كتابه روح القوانين واعتبر هذا المبدأ كسلاح ضد الحكومات المطلقة وبه أخذ رجال الثورة الفرنسية[3].

- مشاركة الشعب في الحكم أي النظام الجمهوري، يرى مونتيسكيو أن الحكومة الجمهورية هي التي يتولى فيها الشعب بكامله أو جزء منه السلطة ويقسمها إلى قسمين: الجمهورية الديمقراطية وفيها يمارس جميع المواطنين السلطة، والجمهورية الأرستقراطية والتي كلما كانت كثيرة العدد كلما اقتربت من الديمقراطية[4].

- المساواة وتعني خضوع جميع الأفراد دون تمييز لقانون واحد.

1- باريتجتون مور: الأصول الاجتماعية للديكتاتورية والديمقراطية، ص61.

2- جان جاك روسو: المصدر السابق، ص20.

3- محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص359.

4- جان توشار: المرجع السابق، ص310.

المحاضرة 11: النظام العالمي الجديد

*** مقدمة**

*** تعريف**

*** ظروف وعوامل قيام النظام العالمي الجديد**

*** مراحل تطور النظام الدولي**

*** الولايات المتحدة والنظام الدولي الجديد**

*** وسائل النظام العالمي الجديد:**

أ- القوة العسكرية

ب- الإقتصاد والمال

ج- النفوذ السياسي

د- إشاعة الفساد والحروب

* مظاهر النظام العالمي الجديد

* خصائصه

* أثر النظام العالمي الجديد

* تصنيف الدول في ظل النظام الدولي الجديد

* خاتمة

المحاضرة 11: النظام العالمي الجديد

مقدمة: اتجه العالم مع أواخر القرن العشرين إلى سيطرة الـ و م أ سياسيا واقتصاديا على العالم بفضل قوتها الاقتصادية وتطورها التكنولوجي، مستغلة تراجع الإتحاد السوفياتي وتفككه، وأصبح العالم كوحدة واحدة، تمثل فيه الـ .و. م. أ مركزه وباقي الدول وحدات تابعة له.

تعريف: النظام الدولي الجديد هو مجموعة المواثيق والمعاهدات والقوانين التي تنظم العلاقات المختلفة بين الدول، وقد قسم هذا النظام العالم إلى مركز (قلب) وهو الغرب بقيادة الـ و.م.أ التي تمارس كل أنواع الضغط والتدخل والاستغلال، وتخوم (أطراف) وهي الدول الضعيفة والمتخلفة[1].

ظروف وعوامل قيام النظام الدولي الجديد: مثلت نهاية الحرب العالمية الثانية خاتمة لمرحلة تاريخية انتهت معها سيادة الدول الاستعمارية التقليدية كفرنسا وبريطانيا، وظهر على الساحة كلا من الـو.م.أ والإتحاد السوفياتي كقوتين رئيسين في العالم قبل أن تنفرد الأولى بزعامة العالم، أما عن أسباب وعوامل قيام النظام العالمي الجديد فيمكن أن نحددها فيما يلي:

* الصراع بين النظام الليبرالي الرأسمالي الذي تمثله الـ .و.م.أ والنظام الشيوعي الذي يمثله الإتحاد السوفياتي، ولذلك أضحت أوروبا هاجس بالنسبة لـ .و.م.أ أمام المد الشيوعي ولذلك ربطت مساعداتها المالية بقدر نفوذها السياسي في المنطقة[2].

* تخلي الإتحاد السوفياتي عن برنامجه النووي[3] ابتداء من سنة 1986م في عهد الرئيس ميخائيل غورباتشوف (1988-1991م) وهو ما أتاح فرصة الزعامة للولايات المتحدة الأمريكية التي راحت تتمسك بحق إنتاج وامتلاك السلاح النووي مفتعلة صراعات وهمية ومنها الصراع ضد كوريا الشمالية، وذلك بهدف استمرار تمسكها بالقوة العسكرية وإظهار نفسها بمظهر المحافظ على السلم والأمن في العالم.

* تطور الاتصالات ووسائل الإعلام التي استعملتها الولايات المتحدة الأمريكية لترويج مشاريعها خدمة لمصالحها الإستراتيجية، مستغلة قوتها الاقتصادية والمالية (تقديم مساعدات عسكرية ومالية لبعض الدول كالكيان الصهيوني ومصر)

1- أنور عبد الملك: المرجع السابق، ص151 / سميح عبد الفتاح: انهيار الإمبراطورية السوفياتية، دار الشروق، عمان، ط1، 1996م، ص211.

2- بيار ميكال: المرجع السابق، ص62.

3- بيار ميكال: نفسه، ص566/ سميح عبد الفتاح: المرجع نفسه، ص39- 40.

مراحل تطور النظام الدولي: تعود بذور النظام الدولي الجديد إلى القرن الـ 16م نتيجة اكتشاف طرق المواصلات البحرية أو ما يعرف بالجغرافيا السياسية التي فتحت المجال أمام دول أوروبا للانتشار والسيطرة على العالم ولاسيما في أمريكا الجنوبية وإفريقيا وآسيا، ثم تحقق مع الثورة الصناعية حيث فرضت الدول المتطورة نظامها الفكري والاقتصادي على باقي الدول[1].

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ تفكير دول الحلفاء في وضع أسس لنظام دولي جديد يتفق مع تصوراتهم ومصالحهم في المرحلة القادمة، وقد ارتكز هذا النظام على أساسين:

* **الجانب السياسي:** يتعلق بالسلم والأمن ا لذي تبلور في هيئة الأمم المتحدة وميثاقها الذي يعترف بسيادة الدول واستقلالها، وبحق تقرير المصير، واستبعاد الحرب كوسيلة لحل المنازعات، وإن أفرغت هذه المنظمة من شرعيتها إذ أصبحت تعمل خارج القوانين التي وضعت لها.

* **الجانب الاقتصادي:** ويتمثل في إنشاء صندوق النقد الدولي (F.M.I) بعد مؤتمر BRETTON WOODS سنة 1944م، ثم منظمة التجارة العالمية W.T.O سنة 1994م واللتان سيطرت من خلالهما الدول القوية على الاقتصاد العالمي.

الولايات المتحدة والنظام الدولي الجديد: يعتبر مشروع مارشال الذي أعلن عنه وزير الخارجية الأمريكي[2] عقب نهاية الحرب في 1947/06/05م أساس النظام العالمي في جانبه الاقتصادي القائم على حرية التجارة وانتقال رؤوس الأموال بهدف السيطرة على العالم وخدمة مصالحها، وبذلك فإن هذا النظام ومن ورائه الـ .م.أ والغرب يلغي المساواة في الحقوق والواجبات بين الدول، ويكرس هيمنة الدول الكبرى على باقي الدول، ولذلك طالبت دول الجنوب في 1973 م بإقامة نظام عالمي جديد يحقق العدل والمساواة والديمقراطية، إلا أن الو.م أ والغرب إستغل أزمة البترول للضغط أكثر وتكريس الهيمنة.

وسائل النظام العالمي الجديد: لم تخفي الو.م.أ سياستها في فرض وتطبيق النظام العالمي الجديد بما يخدم مصالحها بمختلف الوسائل:

أ- القوة العسكرية: شعرت الدول الغربية وعلى رأسهم الو.م.أ بقوتها العسكرية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية جعلت ونستون تشرشل يقول أن قوتنا تضعنا فوق الجميع.

1- أنور عبد الملك: المرجع السابق، ص19.

2- ب. ميكال: المرجع السابق، ص88/ حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، عالم المعرفة، م.و.ث.ف.آ، الكويت، 2000م، ص19.

ب- الإقتصاد والمال: تعمل الدول الغربية على أن يكون إقتصاد الدول الأخرى تابعا لها وفي خدمتها لا منافسا لها، بحيث أصبحت تدير الإقتصاد العالمي فيما أسندت للدول الضعيفة مهاما تافهة كإدارة العنف والثورات الشعبية[1].

ج- النفوذ السياسي: إكتسبت الو.م.أ بفضل ترسانتها العسكرية وتطورها الإقتصادي من بسط نفوذها السياسي من خلال إدارة الأزمات وتوزيع الأدوار، وأي تصرف يجب أن يحظى بموافقتها ولو كان ذلك في الأمور الإنسانية.

د- إشاعة الفساد والحروب:يكفي أن نورد فكرة واحدة عند الساسة الأمريكيين تبيِن خطتهم تلك وهي أنهم راحوا يبحثون عن أعداء جدد بعد تراجع السوفييت في نهاية الثمانينيات فوجدوه في الإرهاب الدولي والتجارة الدواية للمخدرات والأصولية الإسلامية وعدم الاستقرار والفساد بشكل عام، وهكذا تم العمل بشهية واسعة مع الأعداء الجدد[2].

مظاهر النظام العالمي الجديد: تعد ظاهرة العولمة أبرز نتيجة مباشرة للنظام العالمي، وهو هدف الـ و.م.أ التي تريد أن تجعل باقي الدول تابعة لها سياسيا واقتصاديا (إن لم تكن معي فأنت ضدي). ظهر مصطلح العولمة mondialisation أو globalisation سنة 1991م بعد نهاية الحرب الباردة، وهي تعني في مفهومها الاصطلاحي التوسع الجغرافي للمبادلات ورؤوس الأموال والمهن والخدمات وإزالة الفواصل الزمنية والمكانية في التعامل والعلاقات بين الدول في ظل تطور وسائل النقل والاتصال، أو توحيد القيم والمعايير والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على المستوى العالمي أي الوحدة الكونية، أما من الناحية الواقعية فهي سيطرة النموذج الأمريكي الليبرالي .

خصائصه: يتصف النظام الدولي الجديد بثلاث خصائص مهمة وهي: **1-** الشمولية: كانت العلاقة بين الدول ولاسيما في المجال التنظيمي محصورة في إطار ضيق وبالتحديد في أوروبا[3] ثم بدأت تتكثف بعد نهاية الحرب العالمية الثانية من خلال المشاركة في المنظمات العالمية والإقليمية السياسية والاقتصادية والثقافية.

1- نعوم تشومسكي: النظام العامي القديم والجديد، ترجمة عاطف معتمد عبد الحميد، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2003م، ص181، 264.

2- نفسه، ص9.

3- سعد حقي توفيق: مبادئ العلاقات الدولية، دار وائل للنشر، ط1، 2000م، ص44.

2- عدم التجانس: أي اختلاف الدول من حيث إديولوجياتها وأفكارها وسياساتها الخارجية، وتعارض المصالح بين دول قوية مهيمنة ودول ضعيفة تريد التحرر، وعدم المساواة بين أعضاء المجتمع الدولي.

3- التفاعل: أي أن العالم أصبح بمثابة قرية صغيرة وذلك في ظل تطور وسائل الإعلام والإتصال التي ربطت شعوب العالم ببعضها البعض ثقافيا واقتصاديا، وأصبح معها من غير الممكن العيش بمعزل عن العالم.

أثر النظام العالمي الجديد: انعكس هذا النظام سلبا وبصفة خاصة على الدول المتخلفة والضعيفة وفي جميع المجالات ولعل أخطرها الجانب السياسي حيث أصبحت هذه الدول ملزمة بتطبيق سياسات الدول القوية وأصبح معها مثلا استعمال القوة من أجل استعادة الحرية عملا غير قانوني، بينما تستعمل هي القوة ضد هذه الدول وتتدخل في شؤونها بقوة السلاح.

تصنيف الدول في ظل النظام الدولي الجديد: هناك عدة معايير لتصنيف الدول، إلا أن أهمها هو معيار القوة والذي يخص ثلاثة مجالات حيوية هي: القوة الاقتصادية- القوة العسكرية- القوة العلمية والتكنولوجية.

1- دول عظمى: وهي الدول التي تمتلك عدة اعتبارات كالمساحة وعدد السكان وحجم الثروات والتصنيع والتقدم التكنولوجي والأسلحة إلا أن الثالوث الأخير هو المعيار الرئيس والذي تجسده الـو.م.أ. وهي التي تتحكم في السياسة الخارجية وتقررها في الجانبين السياسي والاقتصادي.

2- دول كبرى: وهي التي تحاول القيام بدور عالمي، لكن مجالها في ذلك محدود مثل الصين وروسيا وفرنسا وبريطانيا وغالبا ما تخضع في سياستها الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

3- دول متوسطة: ليس لديها طموحا عالميا أو ليس بمقدورها ذلك ولكن لها دورا إقليميا مثل تركيا أو بعض الدول الأوروبية ذات القوة الاقتصادية كإيطاليا وإسبانيا لكنهما لا يملكان قدرة عسكرية كبيرة أو مساحة واسعة.

4- دول صغرى: وهي الدول الضعيفة اقتصاديا وسياسيا ومتأخرة علميا، لا يتعدى دورها المستوى المحلي وهو محاولة الحفاظ على استقلالها وحماية حدودها، وغالبا ما تعتمد في إقتصادها وحاجياتها الأساسية على الدول المتقدمة وهو حال الغالبية من دول العالم، وهو ما جعلها هدفا للاستغلال من قبل الدول الكبرى.

خاتمة: إن النظام العالمي الجديد ما هو إلا مظهرا من مظاهر الصراع التاريخي الحضاري الذي مارسته الدول القوية والكبرى عبر التاريخ من خلال محاولة الإمبراطوريات القديمة التى سيطرت على العالم بداية بالإمبراطورية الرومانية ثم الدول الإستعمارية وصولا إلى الـ و.م.أ التي تريد فرض نموذجها الاقتصادي والفكري خدمة لمصالحها. وهنا يمكن أن نطرح تساؤلات عن مصير هذا النظام في حد ذاته فهل سيشهد مستجدات قادمة وهل، تكتفي الدول العظمى بما حققته ؟ وموقف ومصير الدول التي توصف بالضعيفة في ظل ذلك الوضع المرتقب، هل ترضى بالأمر الواقع أم تعمل على التحرر، وإذا كان كذلك فما هو السبيل إلى ذلك؟

القائمة البيبليوغرافية

*** القرآن الكريم برواية ورش.**

*** إنجيل برنابا.**

*** الكتاب المقدس.**

أولا: المصادر 1- باللغة العربية

1- أوروسيوس باولوس (مؤرخ روماني توفي في النصف الأول من القرن الخامس ميلادي): تاريخ العالم، تحقيق الترجمة العربية وتقديم عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1982م.

2- أرطوطاليس (ت322ق.م): السياسة، ترجمه عن الإغريقية وقدمه بارتملي سانتهيلير، ترجمة أحمد لطفي السيد، دط.

3- القديس أوغسطينوس (ت430م): مدينة الله، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط2، 2006م.

4- أفلاطون (ت347ق.م): القوانين، ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية د. تيلور، نقله إلى العربية محمد حسن ظاظا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1986م.

5- أفلاطون: المحاورات الكاملة- الجمهورية – نقلها إلى العربية شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994م.

6- أفلاطون: محاكمة سقراط، ترجمة وتقديم عزت قرني، دار قباء، القاهرة، ط2، 2001م.

7- توماس مور (ت1535م): يوتوبيا، ترجمة وتقديم أنجيل بطرس سمعان، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1987م.

8- توماس هوبز (ت1679م)**:** اللفياتان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب، مراجعة رضوان السيد، أبو ظبي، ط1، 1432هـ- 2011م.

9- جان جاك روسو: (ت1778م): العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ترجمه إلى العربية بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ط3، 2016م.

10- جون لوك (ت1704م): الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الإجتماعي، ترجمة محمود شوقي الكيال، القاهرة، دط.

11- ابن حزم أبي محمد علي بن أحمد الأندلسي الظاهري (ت456هـ- 1064م) جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1999م.

12- الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

13- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ- 1406م): المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 1427هـ- 2009م.

14- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، اعتنى به وراجعه درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 1430هـ- 2009م.

15- الخوارزمي أبي بكر جمال الدين (ت383هـ- 993م): مفيد العلوم ومبيد الهموم، دار التقدم، مصر، 1323هـ- 1906م.

16- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت548هـ- 1153م) الملل والنحل، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1423هـ- 2003م.

17- إبن صاعد أبي القاسم صاعد بن أحمد (ت462هـ- 1070م): طبقات الأمم، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، دط.

18- ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ- 870م): فتوح مصر والمغرب، حققه وقدم له علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينيةن القاهرة، 1425هـ- 2004م.

19- ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الملطي (ت1286م- 685هـ): تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة الأب أطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، الحازمية، ط3، 1994م- 1415هـ.

20- فردريك إنجلز (ت1895م): الإشتراكية: الطوباوية والعلم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2013م.

21- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ- 1248م): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تصحيح محمد أمين الخانجي، القاهرة، 1366هـ.

22- كارل ماركس (ت1883م): رأس المال، ترجمة فهد كم نقش، دار التقدم، موسكو، 1985م.

23- كارل ماركس- فريدريك إنجلز: البيان الشيوعي، ترجمه وقارنه عن الألمانية العفيف الأخضر، منشورات الجمل، بيروت- بغداد، 2015م.

24- كارل ماركس- فريدريك إنجلز: العائلة المقدسة أو نقد النقد النقدي، ترجمة حنا عبود، مراجعة فؤاد أيوب، دار دمشق، دط.

25- كارل ماركس- فريدريك إنجلز: الإديولوجية الألمانية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، دط.

26- مكيافللي (ت1527م): الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، مكتبة أبن سينا، القاهرة، 2004م.

27- مونتيسكيو (ت1755م): روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، دار المعارف، القاهرة، 1954م.

28- هيغل (ت1831م): العقل في التاريخ، ترجمة وتقديم وتعليق إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، ط3، 2007م.

2- باللغة الأجنبية

29- DAVID HUME: Essays moral, political, and literary, edited with preliminary dissertation and notes, bay T.H.GREEN and T.H. GROSE, london, 1882.

ثانيا: المراجع – 1- باللغة العربية-

30- أحمد ظاهر: دراسات في الفلسفة السياسية، دط.

31- أكرم حجازي: النظرية الاجتماعية: الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية والمعاصرة، دط.

32- إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيغل، التنوير، بيروت، ط3، 2007م.

33- أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، مكتبة الأسرة، الإسكندرية، دط.

34- أنور الجندي: مشكلات العالم المعاصر في ضوء الإسلام، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، 1392هـ-1972م.

35- أنور عبد الملك: تغيير العالم، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985م.

36- جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2015م.

37- حازم الببلاوي: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م.

38- حبيب الشاروني: فلسفة جون بول سارتر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003م.

39- حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ، دار الرشاد، القاهرة، ط2، 1421هـ- 2001م.

40- خير الدين باشا: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مطبعة تونس، ط1، 1284هـ- 1867م.

41- رؤوف عباس حامد : تطور الفكر العربي الحديث، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دط.

42- زينب عصمت راشد: تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط.

43- ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون- طبعة موسعة – دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1387هـ-1967م.

44- سالم خميس: الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1998م.

45- سعد حقي توفيق: مبادئ العلاقات الدولية، دار وائل للنشر، ط1، 2000م.

46- سميح عبد الفتاح: انهيار الإمبراطورية السوفياتية، دار الشروق، عمان، ط1، 1996م.

47- بن شريط عبد الرحمن: الدولة الوطنية بين متطلبات السيادة وتحديات العولمة، كنوز الحكمة، الجزائر، 1432هـ- 2011م.

48- شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، جمع وتحقيق وتعليق حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م.

49- شوقي عطاء الله الجمل و عبد الله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ أوروبا من عصر النهضة إلى نهاية الحرب الباردة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.

50- ضياء الدين رجب شهاب الدين: الدر المصون بتهذيب مقدمة ابن خلدون، دار الفتح، الشارقة، ط1، 1416هـ-1995م.

51- عبد العزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1419هـ- 1999م.

52- عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م.

53- عبد العظيم رمضان: تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، الهيئة المصرية للكتاب، دط.

54- عبد القادر بوعرفة الهلالي: أعلام الفكر والتصوف بالجزائر ما قبل الميلاد إلى القرن 16م، دار الغرب، دط.

55- عبد الوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1423هـ- 2002م.

56- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

57- عطيات أبو السعود: فلسفة التاريخ عند فيكو، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997م.

58- علي زيغور: أوغسطينوس، دار إقرأ، بيروت، ط2، 1403هـ- 1983م.

59- علي محمد حريشان و محمد شريف الزيبق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ط9، 1399هـ- 1979م.

60- عماد الدين خليل: ابن خلدون إسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ- 1983م.

61- لويس عوض: الثورة الفرنسية، الهيئة المصرية للكتاب، 1992م.

62- محمد عابد الجابري: فكر إبن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6، 1994م.

63- محمد العبدة: قيام الدول وسقوطها، دار الصفوة للنشر والتوزيع، دط.

64- محمد العربي: موسوعة الأديان السماوية والوضعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.

65- محمد علي البار: العلمانية جذورها وأصولها، دار القلم، دمشق، ط1، 1429هـ- 2008م.

66- محمد قاسمي وحسين حسني: تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط6، 1348هـ-1929م.

67- محمود سعيد عمران وآخرون: النظم السياسية عبر العصور، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999م.

68- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2015م.

69- مناع قطان: موقف الإسلام من الاشتراكية، دار الثقافة الإسلامية، الرياض، دط.

70- ميلاد المقرحي: تاريخ أوروبا الحديث 1453- 1848م، منشورات جامعة قار يونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 1996م.

71- نعيم فرح: الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ط2، 1421هـ- 2000م.

72- أبو يعرب المرزوقي- الطيب تيزيني: آفاق فلسفة عربية معاصرة، دار الفكر، بيروت- دمشق، ط1، 1422هـ- 2001م.

73- يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م.

2- مراجع معربة

74- آدم فيرغيسون: مقالة في تاريخ المجتمع المدني، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، مراجعة هيثم غالب الناهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2014م.

75- أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م.

76- أنطوني جدنز: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، تحليل كتابات ماركس ودوركهايم وماكس فيبر، ترجمة أديب يوسف شيش، مطبوعات جامعة كامبريج، دط.

77- إميل براهييه: تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1994م.

78- إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هاربرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1999م.

79- بارينجتون مور: الأصول الاجتماعية للديكتاتورية والديمقراطية، ترجمة أحمد محمود، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008م.

80- برتراند راسل: السلطة والفرد، تعريب شاهر الحمود، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1961م.

81- برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2010م.

82- بيار ميكال: تاريخ العالم المعاصر 1945-1991م، تعريب يوسف ضومط، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414هـ-1993م.

83- جان توشار وآخرون: تاريخ الفكر السياسي، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1403هـ- 1983م.

84- جوزيف شومبيتر: الرأسمالية والإشتراكية والديمقراطية، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011م.

85- جون بيرانجييه وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام منذ بداية القرن 14م وحتى نهاية القرن 18م، ترجمة وجيه البعيني، مراجعة أنطون أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط1، 1995م.

86- غوستاف لوبون: روح الثورات والثورة الفرنسية، ترجمة عادل زعيتر، كلمات عربية، القاهرة، 2013م.

87- غيوم سيبرتان- بلان: الفلسفة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة عز الدين الخطابي، مراجعة جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2011م.

88- فرناند بروديل: تاريخ وقواعد الحضارات، ترجمة وتعليق سفير. د. حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1999م.

89- فرناند بروديل: ديناميكية الرأسمالية، ترجمة عفيف محسن، دار الكتاب الحديد، بيروت، ط1، 2008م.

90- ف. دياكوف - س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ترجمة نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2000م.

91- فرانسوا جورج دريفوس وآخرون: موسوعة تاريخ أوروبا العام من عام 1789م إلى أيامنا، ترجمة حسين حيدر، مراجعة أنطون أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت- باريس، ط1، 1995م.

92- فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1، 1413هـ- 1993م.

93- كوينتن سكنر: أسس الفكر السياسي الحديث، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012م.

94- ليوبولد فايس (محمد أسد): الطريق إلى مكة، ترجمة رفعت السيد علي، منشورات الجمل، بيروت،ط1، 2010م.

95- ليو شتراوس- جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر، ترجمة محمود سيد أحمد، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005م.

96- ماريا لويزا برنيري: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة عطيات أبو السعود، مراجعة عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م.

97- نورمان ف. كانتور: قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط5، 1997م.

98- مجموعة من المؤلفين :خلق لا تطور، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، دط.

99- موريس كونفورث: مدخل إلى المادية الجدلية، ترجمة م. مستجير مصطفى، دار الفارابي، بيروت، ط5، 2015م.

100- نعوم تشومسكي: النظام العالمي القديم والجديد، ترجمة عاطف معتمد عبد الحميد، نهضة مصر، القاهرة، ط3، 2003م.

101- يورغن هابرماس: بعد ماركس، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2002م.

3- مراجع باللغة الأجنبية

102- E. BARKER , M.A : the political thought of PLATO and ARISTOTLE, london, 1906.

4- المجلات والملتقيات والأطروحات

103- مجلة العلوم الاجتماعية، المركز العربي الديمقراطي، برلين، عدد 2، ديسمبر 2017م.

104- مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية A.U.S.T صنعاء، عدد 15، مجلد 16، جويلية- سبتمبر 2017م.

105- أيمن فتحي الحجاوي: إبن خلدون والمادية التاريخية، المؤتمر العلمي الدولي" إبن خلدون علامة الشرق والغرب " كلية الآداب، قسم الاجتماع، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، أكتوبر 2012م.

106- عبد الله بوقرن: الآخر في جدلية التاريخ عند هيغل، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 1427- 1428هـ/ 2006- 2007م.

فهرس المواضيع

المواضيع **الصفحة**

المحاضرة الأولى: نبذة عن الفكر الاجتماعي والسياسي في العصور القديمة	**02**
مفهوم الفكر الاجتماعي	02
مفهوم الفكر السياسي	02
1- الفكر الاجتماعي والسياسي عند قدماء المصريين	02
2- الفكر الاجتماعي والسياسي عند الإغريق (اليونان)	02
أ- مرحلة ما قبل أفلاطون وأرسطو (قبل القرن 4 ق.م)	04
هزيودوس، سولون، سقراط	04
نظرة سقراط للدولة	05
ب- مرحلة ما بعد القرن الرابع قبل الميلاد	05
- كزينوفون، أفلاطون	06
نظرية الدولة والسلطة عند أفلاطون	06
أرسطو	07
نظريته في الدولة	07
3- الفكر الاجتماعي والسياسي عند الرومان	08
بوليبيوس، شيشرون، القديس أوغسطين	08
المحاضرة الثانية: تاريخ الفكر الاجتماعي- الفكر الاجتماعي في أوروبا	**12**
تمهيد	12
1- الفكر الاجتماعي في أوروبا خلال القرون الوسطى	12
أ- المسيحية، ب- النظام الإقطاعي، ج- الحروب الإقطاعية والدينية	13
2- الفكر الاجتماعي في عصر النهضة	15

المحاضرة الثالثة **فكر ابن خلدون** **18**

تمهيد 18

علم جديد 18

اهتمام المؤرخين والمفكرين بالمقدمة 18

علم الاجنماع عند ابن خلدون 19

فلسفة التاريخ عند ابن خلدون 20

ضرورة العمران وأسبابه 21

أصل العمران وأقسامه: 22

العمران البدوي 22

العمران الحضري 22

العمران والمعاش 23

المعاش ووجوهه 23

العمران والحضارة (المدينة) 24

خاتمة 24

المحاضرة الرابعة **نظرية العقد الاجتماعي** **26**

تمهيد 26

العقد الاجتماعي وفلاسفته 26

1- توماس هوبز 26

السلطة والدولة عند هوبز 27

2- جون لوك 28

المجتمع والسلطة السياسية (الدولة) 29

3- جان جاك روسو 30

الحرية والعقد الاجتماعي 30

نظام الحكم (السلطة) 31

مونتيسكيو والدولة 31

السلطة والحكم عند دفيد هيوم 32

الدولة عند هيغل 32

المحاضرة الخامسة **الفلسفة الماركسية** **34**

تمهيد 34

كارل ماركس 34

الفلسفة المادية 34

ماركس والمادية التاريخية 35

مبادئ فلسفته 36

أ- المبدأ الإقتصادي الإنتاجي 36

ب- المبدأ الاجتماعي 37

ج- المبدأ السياسي 37

د- مناهضة الدين (ضد الدين) 37

نقد كارل ماركس لفلسفة هيغل 38

المحاضرة السادسة **النظريات الاجتماعية المعاصرة** **40**

مقدمة 41

تعريف 41

أنماط النظريات 41

ظهور النظريات الاجتماعية 41

1- نظرية التطور- النشوء 42

2- النظرية الصراعية 43

3- النظرية البنائية الوظيفية 44

4- النظرية السكانية 45

5- النظرية الوضعية 45

الفكر العلماني		46
نتائج العلمانية		47
المحاضرة السابعة	**تاريخ الفكر السياسي**	**48**
الفكر السياسي في عصر النهضة		49
عوامل تطور الفكر السياسي		49
1- الحروب الصليبية		49
2- ظهور الجامعات وحركة الإنسانيين		50
3- الصراع الديني والسياسي		50
4- إزدهار النشاط السياسي والفلسفي		50
5- إختراع الطباعة		50
النطريات السياسية في عصر النهضة:		51
أ- النظرية الواقعية		51
ب- النظرية الدينية		51
ج- نظرية القوة		52
د- النظرية التعاقدية		52
نتائج تطور الفكر السياسي		52
المحاضرة الثامنة	**نظرية الدولة عند ابن خلدون**	**55**
تمهيد		55
نشأة الدولة		55
شروط قيام الدولة		55
1- الترف		55
2- العصبية		55
3- التوحش		57
4- الدعوة الدينية		57

مصدر السلطة وحدود الدولة 57
أطوار الدولة 57
عمر الدولة 58
خطط الدولة ووظائفها 58
شارات الملك والسلطان 59
هرم الدولة وسقوطها 60
خاتمة 61
المحاضرة التاسعة **الثورة الفرنسية 1789م** **63**
مقدمة 63
فرنسا في عهد لويس الـ **16** (1774- 1791م) 63
أسباب الثورة ودوافعها 63
الأزمة وبداية الثورة 65
مراحل الثورة 65
المرحلة الأولى: الملكية الدستورية (جويلية 1789- أوت 1792م) 65
المرحلة الثانية: الحكومة الثورية أو الجمهورية الأولى 1793- 1794م 66
المرحلة الثالثة: حكومة الإدارة 1795- 1799م 67
نتائج الثورة 67
المحاضرة العاشرة **النظريات السياسية المعاصرة** **70**
تمهيد 70
1- الاشتراكية 70
مراحل الإشتراكية 71
عناصر وأسس قيام الإشتراكية 72
أ- الصراع الطبقي (الإستغلال) 72
ب- البروليتاريا 72

البروليتاريا والدولة 73
2- الليبرالية 75
ظروف وعوامل قيام الليبرالية 75
بين الاشتراكية والليبرالية 77
3- الديمقراطية 78
ظروف قيام الديمقراطية 78
عوامل ظهور الديمقراطية 78
مبادئ الديمقراطية 79
المحاضرة الحادية عشر النظام الدولي الجديد **81**
مقدمة 81
تعريف 81
ظروف وعوامل قيام النظام الدولي الجديد 81
مراحل تطور النظام الدولي 82
الو.م.أ والنظام الدولي الجديد 82
وسائل النظام العالمي الجديد 82
أ- القوة العسكرية 82
ب- الإقتصاد والمال 83
ج- النفوذ السياسي 83
د- إشاعة الفساد والحروب 83
مظاهر النظام العالمي الجديد 83
خصائصه 83
أثر النظام العالمي الجديد 83
تصنيف الدول في ظل النظام الدولي الجديد 84
خاتمة 85

القائمة البيبليوغرافية 85

فهرس المواضيع 92